الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم

UNIVERSITE Abdelhamid Ibn Badis MOSTAGANEM

FLAA كلية الآداب العربي والفنون Faculty of arabic literature and Arts

كلية الأدب العربي و الفنون

مذكرة تخرج نيل شهادة ماستر أكاديمي

تخصص أدب عربي قديم

الموضوع:

بلاغة الخطابة في النثر الجزائري القديم

" خطبة أحمد بن منصور أنموذجا "

إعداد

الطالبة : خالد خديجة

إشراف الأستاذة

د. هشماوي فتيحة

الدكتورة: هشماوي فتيحة
جامعة مستغانم

أمام لجنة المناقشة

الرقم	اسم ولقب الأستاذ(ة)	الرتبة	الصفة
01	بحوص نوال	أستاذة محاضرة أ	رئيسا
02	هشماوي فتيحة	أستاذة محاضرة أ	مشرفا و مقررا
03	بن دحان عبد الوهاب	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

بكلام من عبير مقدس، تنتعش به الأرواح و تطيب به النفوس، فيأخذني عبر بساتين الزهور و خمائل الأشجار، فأقطف أزهارا ز رياحين لأجعل منها عقد أهديه إلى.....

من قال فيه الشاعر :

مقامك من قلبي هو القلب كله فليس لشيء فيه غيرك موضع

- قرة عيني رسول الله صلى عليه و سلم
- إلى من نفذ سهام بصرها إلى أعماق قلبي ، فغرفت من روحي بأوتارها على صفحات قلبي سنفونية الحياة فكانت دوما بلسما لجروحي و سلسبيله الشافي : أمي الحبيبة.
- إلى من أحاط طريقي بالزهور و أضاء حياتي كشعاع نور أبي الغالي رحمه الله
- إلى من اتخذت من قلوبهم موطنا و من أرواحهم سكنا أخواتي :
- " فاطمة الزهراء – سمية – أسماء " و إخوتي " ابراهيم – الياس".
- إلى أجمل من أراهم ببصري ، و أبدع من رسموا على مخيلتي أولادي :
- "عبد الرحمان – عبد الباري – أيات و ماريا"
- إلى من أعانني في هذا الدرب و يسر لي بعون الله كل صعب

زوجي عيسى جلول

مقدمة

مقدمة

لقد تعددت ضروب النثر العربي و تشعبت ألوانه من كتابة و قصص و رسائل إلى خطابة ، و قد كان للنثر الجزائري القديم نصيب من هذا.

اعتبر النثر الجزائري القديم في عهد الرستميين القرنين(02 هـ-03 هـ) الموافق لـ (776-909 م) جزءًا لا يتجزأ من التراث الثقافي والأدبي للمنطقة، و قد تميزت هذه الفترة بالاستقرار السياسي والازدهار الثقافي، ما أتاح بيئة خصبة لولادة و نمو الأدب والنثر الخطابي و ازدهارهما.

تميزت الخطابة في هذا العصر بأساليب بلاغية فريدة، حيث اتسمت بالوضوح و الدقة و الجمال الأدبي مما جعلها وسيلة فعالة للتأثير و الاقناع، و قد لعبت دورًا بارزًا في استمالة قلوب الجماهير قبل عقولهم

إن الخطابة الجزائرية جزء لا يتجزأ من الخطابة العربية الاسلامية ، لكنها لم تأخذ حقها من الدراسة و ضاع معظمها و لم يدون

هذا كان دافعا للبحث و الخوض في هذا الموضوع ، و قد انطلقت في هذه الرحلة و غصت بأفكاري في هذا البحر الواسع الذي لا حدود له منطلقة من عدة تساؤلات سبحت في ذهني و قد تمثلت في :

- ✓ ما مفهوم الخطابة و ما هي أنواعها و موضوعاتها؟
- ✓ كيف كانت ولادة وبروز النثر الجزائري القديم؟
- ✓ كيف ساهمت الثقافة في بناء النثر الأدبي الرستمي؟
- ✓ ما هي العوامل التي شكلت الخطابة في عهد الرستميين ؟
- ✓ ما هي خصائص الخطابة في النثر الجزائري القديم؟
- ✓ بم تميزت الخطابة في العصر الرستمي؟
- ✓ ما مظاهر الجمال في خطبة تلك الفترة ؟
- ✓ ما السمات الفنية التي تميزت بها خطب الرستميين؟

ورست سفينتي في الأخير على موضوع بعنوان **" بلاغة الخطابة في النثر الجزائري القديم " خطبة أحمد بن منصور أنموذجا ".**

و قد اعتمدت في دراستي على المنهج التاريخي معتمدة على آليتي الوصف و التحليل كونه المناسب لهذه الدراسة ، و قد قمت بوضع خطة لأستطيع من خلالها الوصول الى النتائج المطلوبة و التي تمثلت في فصلين : الأول نظري و الثاني تطبيقي ، تتصدرهما مقدمة ثم مدخل و ينتهيان في الأخير بخاتمة و قائمة المصادر و المراجع ثم فهرست للموضوعات.

في المقدمة عمدت إلى طرح الإشكالية حول موضوع البحث ، ثم ولجت إلى المدخل الذي عنونته بالخطابة فن و تطور ، حمل بين ثناياه تعريف الخطابة لغة و اصطلاحا و قد حددت مفهوما للخطابة كان محصورا بين الفن و العلم ، ثم تعرفت على مراحل الخطابة عبر العصور وصولا إلى ذكر موضوعات الخطابة فأنواعها و عوامل رقيها و أخيرا خصائصها الفنية.

ثم عرجت بعد ذلك إلى الفصل الأول الذي كان بعنوان : الخطابة في النثر الجزائري القديم دارت موضوعاته حول الدولة الرستمية نشأتها ، تأسيسها ، الى حياتها السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية ثم وصولا إلى حياتها الفكرية و الثقافية و الأدبية و الحديث عن أشهر علماؤها و ذكرا لأدبائها فأشهر خطبائها و خطبهم .

انتقلت بعد ذلك إلى الفصل الثاني و قد كان محطتي الأخيرة من هذا البحث عنوانه اتسم بـبلاغة الخطابة في النثر الجزائري القديم ، تطرقت فيه إلى دراسة تحليلية فنية بلاغية لخطبة أحمد بن منصور خطيب ذلك العصر.

و ختمت رحلتي بخاتمة ضمنتها نتائج ما توصل إليه بحثي و قد ساعدي على انجاز هذا العمل حصولي على مجموعة من المصادر و المراجع المهمة التي كانت لي عونا و مرساة، ثبتت لي سفينتي وقت العواصف و التي من بينها.:

كتب في الخطابة منها : كتاب الخطابة و إعداد الخطيب لـ د.عبد الجليل عبده شلبي و كذا كتاب فن الخطابة لـ د.أحمد الحوفي ، و كتاب الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب لـ محمد أبي زهرة

و ثانيا كتاب أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير، و كذا الأزهار الرياضية لسلميان الباروني و كتاب تاريخ الأدب الجزائري لمحمد طمار و كتاب تاريخ المغرب الكبير لمحمد علي دبوز.

أما كتب البلاغة فكتاب جواهر البلاغة لأحمد الهاشمي ، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية لأحمد الشايب

و في الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذتي المشرفة الدكتورة **هشماوي فتيحة** التي لم تبخل علي بالنصائح و الإرشادات، فلها خير الجزاء و الشكر و التقدير.

و شكر خالص.لمن أعانتني و ساعدتني بوقتها و جهدها أختي الأستاذة أسماء.

و شكرا كذلك إلى من أراهم شموعا تنير درب العلم و المعلم أساتذتنا لقسم الأدب العربي القديم عامة و للأستاذ **بويش منصور** بصفة خاصة.

و أقر بأن هذا البحث لا يرقى إلى درجة الكمال فان أصبت فمن الله وحده، و إن أخطأت فمن نفسي ، و جل من لا يخطأ

مدخل

الخطابة فن و تطور

تمهيد

تعّد الخطابة من أهم الفنون النثرية، لكونها الوسيلة المثلى لمخاطبة الجماهير، واقناعهم بصيغ أدبية متميّزة، فالخطب استعملت قديما وما زالت تستعمل لإصلاح ذات البين، و إطفاء نار الحرب وفي الدعاء إلى الله وبالإشادة بالمناقب، ولكلّ ما يراد ذكره ونثره وشهرته بين النّاس، فالخطابة بحر واسع يصعب الخوض فيه أو الغوص في أعماقه، **فما مفهوم الخطابة؟ وهل تعدّ الخطابة فنا أم علما؟ وما هي جذورها التاريخية؟.**

- **تحديد مصطلح الخطابة:**

هناك جملة من التعاريف لهذا الفن الأدبي الذي خطي باهتمام الفلاسفة والمناطقة والأدباء، فوضعوا له تعاريف كثيرة ومختلفة.

أ- التعريف اللغوي:

وردت صيغة (خطب) في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، تشترك في الإطار اللغوي لهذه اللفظة، إذ يقول سبحانه وتعالى: **"فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب"**[1].

الخطاب: هو الكلام، وفصل الخطاب : ما ينفصل به الأمر من الخطاب[2].

وفي التنزيل العزيز أيضا قوله تعالى: " وءاتيناه الحكمة وفصل الخطاب "[3].

فصل الخطاب: الحكم بالبيّنة أو اليمين أو الفقه في القضاء، وأن يفصل بين الحق والباطل[4].

وجاء في معجم لسان العرب لابن منظور: يقال: خطب فلانُ إلى فلان فخطبه و أخطبه أي أجابه.

---

[1]-القرآن الكريم: سورة ص ، الآية 22.
[2]-المعجم الوسيط: مجمّع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1425،1-2004م، ص243
[3]-القرآن الكريم: سورة ص، الآية 19.
[4]- المصدر السابق ، ص 243 ،

والخطاب والمخاطبة:مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان. قال **اللّيث**: والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر و اختطب، يخطب، خطابة، ورجل خطيب: حسن الخطبة وجمع خطيب: خطباء.[1]

إذن فالخطابة في اللغة مصدر كالخطاب توجيه الكلام نحو الغير للإفهام.[2]

خطب: صار خطيبا، الواعظ قرأ الخطبة وارتجلها، خطيب: صاحب الخطبة[3].

ويقال:هذا خطب جليل وخطب يسير أي من الخاطب والمخاطبة هي مراجعة الكلام[4].

فمن هنا يتبيّن أنّ الخطابة متعددة التعاريف اللغوية وأنّها كلام منثور يلقيه صاحبه على جمع من النّاس ليعبّر عمّا في داخله إلى الذي يخاطبه، إذن فهي وسيلة للتعبير عن مراد ما.

ب- التعريف الاصطلاحي:

الخطابة في الاصطلاح عرفت بتعريفات شتّى، بعضها لا يخلو من ملاحظات وبعضها أقرب إلى الكمال[5]،ومن أقدم ما عرفت به الخطابة:

تعريف أرسطو: بأنّها النظر في كل ما يوصل إلى الاقناع في أيّة مسألة من المسائل، وتلك خاصة لا توجد في أيّ فن من الفنون الأخرى، لأنّ غاية كل فن التعليم والإلزام بكل ما يتعلق بموضوعه[6].

تعريف سقراط:ليست الخطابة في نظر سقراط علما ولكنّها عادة ومرانة، لأنّ فكرة الخطابة وقواعدها لا تجد سببها في الطبيعة (أي في العلم الذي تقرّه

---

[1]-ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر بيروت، ج1، ط1، -1388هـ-1968م، ص360.

[2]-علي محفوظ: فن الخطابة و إعداد الخطيب، دار الاعتصام، د.ط ، د.ت ، ص13.

[3]-جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين ببيروت، ط1: 1984م، ص12.

[4]-حسين بن محمد آل شامر: فن الخطابة، دار النشر المملكة العربية السعودية بالرياض،د. ط:1440هـ، ص10.

[5]-اسماعيل علي محمد: فن الخطابة ومهارات الخطيب،دار الكلمة للنشر والتوزيع بالقاهرة، ط5: 1437هـ-2016م،ص14.

[6]-أرسطو طاليس: ترجمة ابراهيم سلامة، الخطابة، مكتبة الانجلو المصرية، ط2: 1372هـ-1953م، ص 83.

الطبيعة وتصدقه)، فنتيجة الخطابة هي الوصول إلى الغرض الذي يلزم به الخطيب الجماعة.

تعريف أفلاطون: يقول أنّ الخطابة خطة بينما الفلسفة علم، فالخطابة خطة ومنهج[1].

وفي اصطلاح الحكماء: هي مجموع قوانين يقتدر بها على الإقناع الممكن في أيّ موضوع يراد، و الإقناع حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك[2].

الخطابة عند المناطقة: هي قياس مؤلف من مقدمات مقبولة لصدورها ممن يعتقد فيه لاختصاصه بمزيد عقل أو تديّن[3].

الخطابة في عرف الأدباء:تقال على معنيين، أحدهما أنّها كالخطبة بضم فسكون: أي اسم للكلام المنثور سجعا كان أو مرسلا، وثانيهما إلقاء الكلام المنثور مسجوعا كان أو مرسلا، لاستمالة المخاطبين إلى رأي أو ترغيبهم في عمل، وهذا ما يريدونه في قولهم: فلان يقوم على الخطابة أكثر مما يقوم على الكتابة[4].

وفي **تعريف آخر**: الخطابة فن أدبي يعتمد على القول الشفوي في الاتصال بالنّاس لا بلاغهم رأيا من الآراء حول مشكلة ذات طابع جماعي[5].

عرّفها الجرجاني: الخطابه هي قياس مركّب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب النّاس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعّاظ [6].

يقول **ابن رشد**: إنّ صناعة الخطابة تناسب صناعة الجدل وذلك أنّ كليهما يؤمان غاية واحدة وهي المخاطبة [7].

---

[1]- المصدر نفسه، ص30.
[2]-علي محفوظ: فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص13.
[3]- المرجع السابق، ص14.
[4]-علي محفوظ: المرجع نفسه، ص14.
[5]-جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ص104.
[6]-علي محمد الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان – بيروت ، طبعة جديدة 1985م، ص103.
[7]-ابن رشد: تلخيص الخطابة، تحقيق: محمد سليم سالم، القاهرة، ج4، د.ط ، 1387هـ-1967م، ص2.

عرّفها **الفارابي** في كتابه الخطابة : فقال: الخطابة صناعة قياسية غرضها الاقناع في جميع الأجناس العشرة [1].

الخطابة: فن مشافهة أو مخاطبة الجمهور تشتمل على الاقناع والاستمالة [2].

وهكذا أوضح وأدق ما عرفت به الخطابة أنّها هي: فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الاقناع والاستمالة [3].

فلا بدّ من مشافهة وإلا كانت كتابة أو شعرا مدوّنا ولا بد من جمهور يستمع وإلا كان الكلام حديثا أو وصيّة ولابدّ من الاقناع، وذلك بأهن يوضح الخطيب رأيه للسامعين ويؤيّده بالبراهين ليعتقدوه كما اعتقده، ثمّ لابدّ من الاستمالة والمراد بها أن يهيج نفوس سامعيه أو يهدّئها، ويقبض على زمام عواطفهم يتصرف بها كيف يشاء سارا أو محزنا، مضحكا أو مبكيا، داعيا إلى الثورة أو إلى السكينة.

وإذن: **أسس الخطابة**: أو ركائزها هي مشافهة وجمهور وإقناع واستمالة[4].

علم الخطابة وفن الخطابة:

محل دراسة هذا الفن ومجال تعلمه، فهو علم الخطابة الذّي يأخذ بيد من يدرسه، ويقف على قوانينه، ويلمّ بقواعده ويلتزم بها إلى أن يكون خطيبا، وعرّفوا هذا العلم: بأنّه مجموع قوانين تعرف الدارس طرق التأثير بالكلام وحسن الإقناع بالخطاب، وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات، وما ينبغي أن يتّجه إليه من المعاني في الموضوعات المختلفة، وما تكون عليه ألفاظ الخطبة وأساليبها وترتيبها وهو بهذا ينير الطريق أما من عنده استعداد للخطابة ليربّي ملكاته،

[1]-ابراهيم بدوي: فن الخطابة، دار القول الثابت، ط3، 1429هـ-2008م، ص20.
[2]-حسين بن محمد آل شامر: فن الخطابة، ص10.
[3]-عبد الجليل عبده شبلي: الخطابة واعداد الخطيب، دار الشروق،د. ط، 1401هـ-1981م، ص13.
[4]- أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ط ،د.ت ، ص5.

وينمي استعداداته، ويطب لما عنده من عيوب ويرشده إلى طريق اصلاح نفسه، ليسير في الدّرب ويسلك السبيل[1].

ومن هذا يمكن القول: **فن الخطابة**: هو الّذي يمكن أن تقول عنه أنّه الممارسة للخطابة والقيام بها، أمّا **علم الخطابة** : يمكن أن نقول بأنّه عبارة عن التنظير والتقعيد أو التقنين لممارسة فن الخطابة [2].

كما سبق في تعريف كليهما.

❖ الخطابة نشأتها وعوامل رقيّها:

أ- نشأتها:

أمّا الخطابة كفن يمارس وأسلوب يطبّق فشيء قديم جدا، لم تخل منه أمّة من الأمم، وإنّ الاستعداد لها مخلوق مع الانسان الّذي لا غنى له عن الابانة لغيره عمّا في ضميره وعن اقناعه بصدق مقاله وسداد رأيه[3]، وقد ذكر الجاحظ أيضا أنّ الخطابة شيء في جميع الأمم وبكل الأجيال إليه أعظم الحاجة، ومنذ اجتمع النّاس في مكان واحد واستوطنوه وتفاهموا بلسان واحد، عرفوا الخطابة، لأنّه من الطبيعي أن يتنافسوا على غنيمة أو على متاع أو سلطة، فيحاول المتفوق أن يستميل إليه من يخالفوه وأن يقنعهم واستمالتهم، ويمكن أن تنسب أمور تستدعي تعاون المجتمع لقيادة الجماعة وزعامتها عدّتهم ألا وهي خطاباتهم، والنّاس في حياتهم القديمة تسلّحوا بأسلحة ماديّة للدفاع عن العدوان، وتسلّحوا أيضا بسلاح معنوي ألا وهو اللّسان، وما زالت الخطابة إلى الآن سلاحا مرهفا تتصاول به الأمم[4]، وأمّا علم الخطابة المشتمل على قواعدها فقد أتى متأخرا عن نشأتها[5].

1-الخطابة عند اليونان: كانت الثقافة اليونانية ولا تزال أساس الفكر الإنساني في مختلف جوانبه وقد بلغت ذروتها في القرن الخامس قبل الميلاد، وظلّت الثقافات كلّها تتفرع منها الامتداد والتوليد والمعارضة.

---

[1]- محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، مطبعة العلوم، ط1: 1353هـ-1934م، ص9.

[2]- اسماعيل علي محمد: فن الخطابة ومهارات الخطيب ، ص15.

[3]- علي محفوظ: فن الخطابة واعداد الخطيب، ص20.

[4]- أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج3، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7: 1418هـ-1998م، ص12-13.

[5]- محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص13.

قضت البلاد اليونانية ردحا طويلا من الزمن وهي قبائل مفككة تكاد كل قبيلة أو جماعة منها تكون مستقلة عن الأخرى، وبينها تنافس وسباق العيش ووسائل الحياة، والخطابة تنضج وتقوى عادة في أيّام الحروب والتفرقة والشتات، وقد اعتمدت الحروب اليونانية في شتى مواقفها على الخطابة ولهذا ظهر هناك خطباء لم ينساهم التاريخ[1].

وكان أول من دوّن قواعد الخطابة ثلاثة من فلاسفة اليونان في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع قبل الميلاد وهم: **بروديكوس Prodikos**، **برتاغوراس** Pertaguras ثمّ **غورجياس Gorgias** سنة 380 ق.م[2].

وفي أواخر القرن الرابع سنة 322 ق.م، ظهر أرسطو زعيم فلاسفة اليونان فلم يترك شيئا من هذا الفن إلا ودوّنه ونشره في كتابه الخطابة ومن ذاك الحين صارت الخطابة فنا مدوّنا[3]، وهكذا سجلت الخطابة اليونانية صور الحياة في اليونان واتجاههم الفكري كما سجلت بلاغتهم وسمو أساليبهم[4].

إنّ السوفسطائيين وغيرهم من الخطباء، يعتبرون الخطابة فنا ويعدّون هذا الفن الكلامي أرقى أنواع الفنون، ولكنّهم لا يحددون معالم هذا الفن[5].

ومن أشهر خطباء اليونان: سولون Soulone ثمّ **بريكليس Briklis** و **ديموستينس Dimostis** [6].

2- الخطابة عند الرومان:

هم تلاميذ اليونان في العلوم والفنون، تلقوا الخطابة في مدارس رومانية على أيدي أساتذة من اليونان يعلمون باليونانية، وكانوا في أوّل أمرهم يدرسون الأدب والموسيقى والفنون الجميلة وكان كاتو زعيم المقاومين لانتشار الأدب الاغريقي،

---

[1]- عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة واعداد الخطيب، ص144.
[2]- المرجع السابق ، ص13.
[3]- المرجع نفسه، ص14.
[4]- المرجع نفسه، ص 145.
[5]- أرسطو طاليس: الخطابة، ص31.
[6]- ينظر:عبد الجليل عبده شبلي: الخطابة واعداد الخطيب، ص146 – إحسان النص، خليل هنداوي، عمر يحيى: الرائد في الأدب العربي، الطبعة الهاشمية بدمشق، ط1: 1367هـ-1948م، ص 161.

حينها امتلأت روما بالمثقفين من اليونان ووضعوا حجر الأساس لفنّهم الخطابي البلاغي، وانحصرت التربية العالمية في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد على الخطابة[1].

ارتبط حال الخطابة الرومانية بحال الحكم في تلك البلاد، ولم تكن حياة الرومان متمتعة بحرّية كافية، ولكن ظهر فيها بين حين وأخر خطباء وبرزت موقف خطابية عظيمة، ذلك أنّ الشدائد وأزمات الحياة تدعو إلى الخطابة وتظهر الخطباء.

وأشهر خطباء الرومان على الاطلاق: شيشرون Chichron [2].

3-الخطابة في العصر الجاهلي:

إنّ حياة العربي في الصحراء كانت حياة فروسية وقوة دفعته إلى البيان دفعا، قال الأستاذ المؤرخ **جورجي زيدان** في الجزء الأول من تاريخ آداب اللغة العربية في بيان تأثير الخطابة في ذوي الفروسية: " ويغلب تأثيرها في أبناء عصور الفروسية وأصحاب النفوس الأبيّة طلاب الاستقلال والحريّة، ولذلك تشابهت جاهلية العرب وجاهلية اليونان من هذا الوجه، لأنّ كليهما أهل شعر وخطابة[3] ، وأهل إباء واستقلال ولهذا كانت الخطابة رائجة عند الرومان مع تأخر الشعر عندهم، أمّا العرب فقد كانوا ذو نفوس حساسة من سائر أهل الخيال الشعري، فأصبح للبلاغة وقع شديد في نفوسهم"[4].

أشهر الخطباء في الجاهلية:

خطباء الجاهلية كثيرون من أقدمهم **كعب بن لؤي الجد السابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم**، كان يخطب العرب عامة ويخص على البر كنانة خاصة، ومن مشهوريهم بعد ذلك **قيس بن سنان** خطيب داحس والغبراء، **وخويلد بن عمرو الغطفاني** بخطبه في حرب الفجار و**قس بن ساعدة الأيادي** خطيب عكاظ و**أكتم**

---

[1]- أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، ص200.
[2]- عبد الجليل عبده شبلي: الخطابة واعداد الخطيب، ص159.
[3]- محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب ، ص271.
[4]- المرجع نفسه، ص272.

بن صيفي و**الحارث بن عباد**[1]، وهناك أيضا **أبو عمار الطائي**، و**خالد بن جعفر**، و**عبد المطلب بن هاشم** جد **الرسول صلى الله عليه وسلم**، وكلّهم يشار إليهم بالبنان في العرب وهناك الكثير الكثير[2].

4-الخطابة في صدر الإسلام:

كان ظهور الاسلام والدعوة لمبادئه أمرا عظيما في حياة العرب، لم يقف أثره عند ترك عبادة الأوثان واخلاص العبادة لله وحده، بل غيّر عاداتهم ونظام حياتهم بما فرض عليهم من سلوك معيّن وبما حرّم عليهم من عادات ألغوها ومرنوا عليها سنينا طويلة، فحرّم الاسلام الهجاء ونهش الأعراض ولم يقبل المدح المسرف المبالغ فيه، وقد كانت هذه كلها أغراض للشعر الجاهلي[3]، لذلك هدأ صوت الشعر وقلّ نشاطه بظهور الاسلام، وبرزت الخطابة وقامت بعبء تبليغ الرسالة وشرح مبادئ الاسلام، وكان ذلك سببا قويا في نهضة الخطابة وظهور عدد كبير من الخطباء ذوي الألسن الذين أثّروا اللغة العربية بخطبهم، وهكذا كانت الخطابة أول سلاح استعمله الإسلام لإعلان مبادئه والدعوة إليها[4].

إنّ الخطابة في صدر الاسلام وصلت إلى الذروة وبلغت كمال أوجّها وجاء العصر الأموي فوجدت فيه الخطابة لها غذاء من الفتن والثورات، وقد أخذ الفتيان والكهول يتبارون في الخطابة ويتسابقون في ميدانها[5]، ثمّ ازدهرت في مطلع العصر العباسي لتوفر أسبابها، فالدولة العباسية حين قامت كانت في حاجة إلى من يدافعون عنها باللسان لأنّها قامت بحدّ السيف ولهذا كان لابدّ من الخطابة والخطباء لتأليف قلوب الجماهير وجمعهم حول دعوتهم وحكومتهم وكان آنذاك للبلاغة سحرها لدى عامة النّاس، وتزيّن صدر الزمان[6].

---

[1]- ينظر: عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، ص166..
[2]- ينظر: محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص289.
[3]- ينظر: المرجع نفسه ، ص174.
[4]- ينظر: عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة واعداد الخطيب، ص 171.
[5]- المرجع السابق، ص15.
[6]- محمود علي السمان: دراسات في اللغة والأدب والبلاغة، جامعة الأزهر كلية اللغة العربية، د.ط، د.ت ، ص4.

من أشهر خطباء عصر صدر الإسلام:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب العرب قاطبة، واشتهر في صدر الاسلام خطباء كثيرون بعد رسول الله وعلي بن أبي طالب وابنيه الحسنين ومنهم سعد بن عبادة وأبو الأسود الدؤلي، وعمار بن ياسر وأبو بكر وعمر، وعثمان وطلحة والزبير بن العوام، وكان من ألمع هؤلاء عبد الله بن عباس[1].

أشهر الخطباء في العصر الأموي:

أشهر الخطباء آل البيت عبد الله بن الحسن وزيد بن علي بن الحسين، ومن الخطباء الأمويين: معاوية بن يزيد، عبد الملك بن مروان، عمر بن عبد العزيز، زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي[2].

أشهر الخطباء في العصر العباسي:

أشهر الخطباء الهاشميين: عباسيين وعلويين:

من الخطباء العباسيين: داوود بن علي بن عبد الله بن عباس، عبد الله بن علي، صالح بن علي وابنه عبد الملك بن صالح وسليمان بن جعفر.

ومن الخطباء العلويين: محمد بن عبد الله بن حسن الملقب بالنفس الزكية وأخوه ابراهيم وجعفر الصادق والعباس بن الحسين[3].

وخلاصة القول: الخطابة موجودة في جميع الأمم، فلم يخل منها سجّل أمّة وعى التاريخ ماضيها، فقد حفظها خط أستور المسماري وقيّدها حظ الفراعنة الهيروغليفي، ثمّ رواها تاريخ اليونان السياسي والأدبي و بها أخضع بوذا الجموع الهندية لتعاليمه، و بها أذاع الدين أنبياء بني اسرائيل، وكان لها مكانها العظيم في مجامع العرب قبل الاسلام وفي أسواقهم الأدبية بنوع خاص[4].

---

[1]- ينظر: ابراهيم بدوي: فن الخطابة، ص47- 49 -محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها ، ص 277-279.

[2]- ينظر: الرجع نفسه ، ص313 - احسان النص: الخطابة السياسية في عصر بني أمية، دار الفكر بدمشق، د.ط، د.ت ، ص172.

[3]- ينظر: ابراهيم بدوي: فن الخطابة، ص62 - محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها ، ص 343.

[4]- أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة ، ص39

وممّا سبق تبيّن أنّ أول من كتب في علم الخطابة هم اليونانيون وهم من استنبطوا قواعدها، وكانوا يعدّون علم الخطابة ضمن مباحث ومسائل علم المنطق، وقد ذكر ابن خلدون أنّ أرسطو صنّف كتابه في المنطق وجعله مشتملا على ثمانية كتب، وعدّ منها كتاب الخطابة ثمّ ذكر أنّها ترجمت كلها في الملّة الاسلامي[1].

وكتبها وتداولها فلاسفة الاسلام بالشرح كما فعله الفارابي وابن سينا ثمّ ابن رشد من فلاسفة الأندلس[2]، لكن الخطابة سمت وارتقت عند العرب وعدّ كثير من الأدباء العرب في المرتبة الأولى من البيان والمنزلة السامية في الخطابة، وقد ذكر أبو حيان في مقابساته إذ قال حاكيا في الخطابة عن أبي سليمان سمعته يقول: "تولت الحكمة على رؤوس الروم وألسن العرب وقلوب الفرس وأيدي الصين"[3]، ويرى من هذا أنّه يثبت للعرب أنّ الحكمة جرت على ألسنتهم وأنّهم موصوفون بحدّة الذهن والبديهة الحاضرة، وأنّ المعنى الجيّد يسارع إلى خواطرهم كالوحي و الاشارة السريعة لجودة قريحتهم وكل تلك الصفات تضعهم في المرتبة الأولى من الخطابة[4]، وهناك من زاد عليها أنّ العرب لا يامهم في منزلتهم الخطابية أمّة من الأمم إذ يقول الجاحظ في البيان والتبيين: "إنّا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس، وأمّا الهند فإنّما لهم معان مدوّنة وكتب مخلّدة، لا تضاف إلى رجل معروف ولا إلى عالم موصوف، وإنّما هي كتب متوارثة وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة، ولليونانيين فلسفة وصناعة منطق، وكان صاحب المنطق نفسه بكيّ اللسان غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه[5].

---

[1]- ينظر : اسماعيل علي محمد: فن الخطابة ومهارات الخطيب، ص16.

[2]- ينظر : المرجع نفسه، ص16.

[3]- ينظر : محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها، ص 276، و ديل كارنيجي : فن الخطابة، الأهلية للكتاب ، المجموعة الطباعية، ط1 ، بيروت، 2001 ، ص9

[4]- ينظر : المرجع نفسه، ص277.

[5]- ينظر : أبي عمرو بن عثمان بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ص27.

ب-عوامل رقيّها

1-الحرية: إنّما تزدهر الخطابة في عصور الحرية الفكرية والقولية فيحرر كل شخص في تفكيره وينطلق إلى إذاعة ما اهتدى إليه وهو آمن عقاب الحاكم الظالم واستبداد المسلّط الغاشم، فتعتبر الخطابة تعبيرا صادقا عن عواطف القائلين.

2-طموح الأمة إلى حياة أرقى:

تزدهر الخطابة إذا تفشى في الأمّة سخط على نظام من نظمها الدينية أو السياسية أو الاجتماعية، وارتبط هذا السخط بطموح إلى مثل أعلى وحياة أرقى وجد في تبديل الحالة وتحقيق المثل وتاريخ الأمم يؤيّد هذا، فقد كانت الخطابة راقية عند اليونان[1]، والذي أدى إلى رقيّ الخطابة لدى اليونان هو شيوع النظام الديمقراطي في بلادهم، وحرية القول من أقوى العوامل في رقيّ الخطابة والسياسية منها بخاصة، فازدهرت الخطابة ونبغ الكثير من الخطباء عندهم.

وقد ارتقت الخطابة أيضا عند الرومان حين انتشرت فيهم الآداب اليونانية وأخذوا يصارعون حكامهم المستبدّين[2]، فالرومان كانوا في أول أمرهم بحكم ديكتاتوري فكانت خطاباتهم خافتة ثمّ بدأ الشعب يتحرك لتغيير حاله فقويت الخطابة، أمّا عند العرب فقد ازدهرت الخطابة في العصر الجاهلي لأنّهم عاشوا طلقاء في جزيرتهم لا يحد من حريتهم تعسف من حكم أو نظام جائرثمّ أتى الاسلام يدعو إلى توحيد الخالق وكان صراع عنيف بين الدعاة إلى الدين الجديد وبين المتمسكين بالقديم فانتعشت الخطابة، ثمّ قامت الدولة الأموية وانقسم المسلمون إلى شيع سياسية ودينية ولكل حزب خطباؤهم، فأينعت الخطابة، وعندما آلت الخلافة بني العباس وأرسوا قواعد ملكهم ونكلوا بالأحزاب المخالفة لهم وتصرف الأعاجم في شؤون العرب، راح العرب يرضون بما هم فيه وضلّوا عن المثل الأعلى ركن الخطابة وبحّ صوتها حتى اختنق[3]، و ديل كارنيجي يتحدث هنا عن فن الخطابة وأثرها في بلوغ الهدف [4]،.

---

[1]- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص40.

[2]- إحسان النص، خليل هنداوي، عمر يحيى: الرائد في الأدب العربي، ص161.

[3]- المرجع نفسه، ص41 ، ديل كارنيجي : فن الخطابة ، ص 8.

[4]- المرجع نفسه 10.

3- الأمّية وسرعة البديهة:

وإذا نقشت الأمّية في شعب لجأ إلى الخطابة كوسيلة للإقناع والاستمالة، وهذه الأمّية متبوعة إلى استعداد العرب الفطرة لإجادة القول رقت الخطابة[1].

4- الأحداث الدينية والسياسية والاجتماعية:

وإذا اضطرت الأمّة لتغيير سياستها أو تبديل دينها أو اصلاح نظام من نظمها، اتبعت منها خطباء يتصدرون الدعوة ويحتضنونها فيدعون إلى الجديد.

5-الحروب والتوترات:

قد تندلع في الشعب ثورات تنجلي عن رجات تهزّ النفوس وتفك عقد الألسنة وتتكشّف عن وجهات نظريتي فتنتعش الخطابة وينفسح ميدانها ، وقد تشتعل حرب بين أمّتين لطمع إحداهما بالأخرى، فتنطلق الألسنة داعية إلى جمع الكلمة ووحدة الغاية[2].

6-الأحزاب السياسية:

إذا تعددت الأحزاب السياسية في أمّة كثر خطباؤها وارتقت خطاباتهم وهناك عوامل أخرى: كانتشار التعليم، وازدهار الثقافة والوعي القومي والحكم الدستوري وتعدد المشكلات العالمية[3].

---

[1]- إحسان النص، خليل هنداوي، عمر يحيى ، ص 44.

[2]- ينظر : المرجع السابق ص44.

[3]- ينظر: أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، ص45.

❖ أنواع الخطابة:

يعتمد الباحثون في فن الخطابة وتاريخها على تقسيم أرسطو طاليس باعتباره أقدم باحث في قواعد العلوم وتقنينها، وهو قد نظر في تقسيمه إلى الزمن[1]، وقد قسّم الخطابة إلى أقسامها الثلاثة: الاستشارية (الحملية) والفضائية والاستدلالية (المدح والذم)[2]، وقد سار الدارسون العرب في دراستهم للخطابة انطلاقا من تصنيفها حسب موضوعها إلى سياسية ودينية واجتماعية، وهذا التصنيف قديم كما تقدم من كلام الحسن بن وهب والعسكري[3]، ومع العلم والتقدم والتوراث، إلا أنّ الخطابة لم تفقد مكانتها، بل أصبحت ذات شأن وأهمية وتنوعت أنواعها وأخذت أشكالا عديدة[4]، أبرزها الخطابة السياسية والقضائية والدينية وخطب المحافل والمجامع.

1- **الخطابة السياسية**: هي التي تدور حول شؤون الدولة والسياسة ومنها الخطب التي تلقى في المؤتمرات السياسية والمجالس النيابية.
2- **الخطابة القضائية**: هي التي تلقى في دور القضاء وقاعات المحاكم[5]، وهي كل ما يتعلق بالخصومات والنزاعات و إصلاح ذات البين[6].
3- **الخطابة الدينية**: هي التي تلقى في مجال الوعظ و الهداية في دور العبادة لإرشاد النّاس إلى عمل الخير واجتناب الشر، ومن هذا القبيل خطب الجمعة والأعياد[7].
4- **الخطابة العسكرية**: وهي التي تلقى على الجنود في الميدان لشحن هممهم وتحريضهم على القتال.
5- **الخطب المحفلية:** وهي التي تلقى في المحافل الدولية وفي المناسبات[8]، ولها أنواع
أ- خطبة التكريم والمديح: هي التي تقال ثناء على عظيم أو ذي فضل.
ب – خطبة التأبين: هي التي تلقى على قبر الراحل العظيم المتوفى العزيز أو في حفل تأبينة.

---

[1]- ينظر: عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، ص 78.
[2]- ينظر: أرسطو طاليس، الخطابة، ص95.
[3]- ينظر: محمد العمري: بلاغة الخطاب الاقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول أنموذجا، افريقيا الشرق – المغرب، ط2، د.ت ، ص40.
[4]- حسين بن محمد آل شامر: فن الخطابة، ص14.
[5]- احسان النص: الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص162.
[6]- المرجع السابق، ص14.
[7]- المرجع السابق، ص162.
[8]- حسين محمد آل شامر: فن الخطابة، ص15.

جـ - خطبة اجتماعية: هي التي تعرض لدراسة مشكلة من مشكلات المجتمع[1].

6- خطب المجامع الأدبية والعلمية: وهي التي تعرف بالمحاضرات[2]، يلقيها العلماء والباحثون وأهل الاكتشافات العلمية[3].

❖ خصائص الخطابة :

1- خصائصها الفنّية:

- الاعداد: تنم خطب كثيرة عن العناية بإعدادها والتأني في صوغها والتدبر في ترتيب أجزائها، وتنسيق أفكارها والتّأنق في أسلوبها.

- الافتتاح: أمّا افتتاح الخطب فقد كان صورة من افتتاحها في صدر الاسلام في الأعمّ أكثر، فأكثرها مبدوء لحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله وهذه هي السمة الغالبة حتّى إنّهم سموا الخطبة التي لا تبدأ بالحمد بتراء.

وبعضها مبدوء بالتهديد والوعيد لتنبّئ عن غضب الخطيب وترهب السامعين بشديد عقابه.

وبعضها مبدوء بالشتم والتوبيخ لأنّ المقام مقام تقريع وتأنيب.

وقد تبدأ بشعر خشن ينبئ عن صرامة وغلظة، وقد يبدأ الخطيب بالموضوع مباشرة[4].

-الأجزاء: بعض الخطب قائمة كلّها على عرض الموضوع، وبعضها مقسمة إلى مقدمة وعرض وخاتمة.

- العنف والتهديد: تظهر كثيرا في خطب الأحزاب.

- التخيّل والتصوير: امتازت الخطابة في العصر الأموي بمشابهتها الشعر في ابراز الأفكار وتوضيحا وتجسمها في قوالب من التخييل ومن التضاد[5].

- التعبير: أمّا التعبير فإنّه يتّسم بعدّة خصائص:

---

[1]- احسان النص: الخطابة السياسية في عصر بني أمية، ص90.
[2]- المرجع نفسه، ص162.
[3]- المرجع نفسه، ص90.
[4]- أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، ص214-217.
[5]- المرجع السابق، ص219-220.

قوة العبارة وجزالتها لأنّها تعبير عن مشاعر مهيجة ونفوس ثائرة.

قصر الجمل ليشتد وقعها و يتلاحق تأثيرها.

العناية بالوقع والرّنين سواء جاء عن طرق سجع، أم عن طريق الازدواج أو من تقسيم العبارة إلى جمل متوازنة القدر والطول.

يغلب على خطب العصر كله الإيجاز المعتدل ويقلّ فيها التوسّط القريب من الطول وتندب فيها الخطب المسهبة المطوّلة، وهي في هذه الظاهرة امتداد للخطابة في صدر الإسلام[1].

- **التّأثر بالقرآن الكريم**: كثر الاقتباس من القرآن الكريم والمهارة في وضع الآيات بالمواضع الملائمة لها من الخطبة، وكان الطابع الغالب في الخطب الدينية والوعظية.

-الاستشهاد بالشعر: كثير من الخطب استشهدت بالشعراء واقتباس من عباراته ومعانيه ومردّ هذا إلى أنّ الشعر كان من أصول الثقافة.

- القياس: في بعض الخطب قياس معتمد على الفطرة لا على الدرس والتعلّم[2].

❖ موضوعات الخطابة :

1- في الجاهلية:

كان كل قول خطابيّ آنذاك يتعلق بالشجاعة والقتل، لأنّ البدوي كانت أخص صفاته البأس والقوة والبطش فلا غرابة في أن تكون أعظم موضوعاته بلاغية تمثلت في:

-اثارة المحبة وايقاظ الحماس، الصلح، المفاخرة والمنافرة، الدعوة إلى الفضيلة، الرثاء والعزاء[3].

في الاسلام:

[1]- المرجع نفسه، ص224.
[2]- المرجع نفسه، ص227-232.
[3]- محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص273- 275.

استمرت للخطابة أغراضها التي كانت لها في الجاهلية عدا خطب المناظرات التي حرّمها الاسلام، وحلّت محلّها المناظرات في جملتها محاجات لأمر ما أو دفع لاتهام، واكتست خطب الحرب والحض عليه صورة الجهاد المقدس لأجل الدين، ووجدت أيضا خطب ولايات العهد ولايات الأقاليم واستمرت خطب الزواج واتسمت بسمات اسلامية[1]، كما جعل الاسلام الخطبة فرضا في صلاة الجمعة وأن يكون في كل مسجد خطيب يلقي خطبة في كل أسبوع وهي مشروعة كذلك في العيدين ويوم الحج الأكبر، وقد استعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة لاعلان قومه برسالته، وواجه بها القبائل في موسم الحج.
وهكذا كانت الخطابة أول سلاح استعمله الإسلام لإعلان مبادئه والدعوة إليها[2].

خلاصة:

الخطبة كانت و لازالت سلاحا متينا وقويا قديما وحديثا، فهي ذات أصل أصيل وشأن جليل، ومقصد نبيل فهي لسان كل خطيب للردّ على عبث العابثين وكيد المعتدين.
الخطب وسيلة حيّة أحيت قلوبا من الموت وأيقظت ضمائر نائمة، وأعادت أرواحا إلى خالقها، وأصلحت أسرا كانت في غيّها تعبت، وأضاءت سراج التفاؤل في نفوس متشائمة وفتحت مدنا كانت مستعصية ولا تقولوا وماذا تصنع الخطب؟؟؟.
إنّ خطب **ديموستينس Dimostins** صبّت الحياة في عروق أمة كانت تفقد الحياة وهي كلمات وقفت سدا منيعا في وجه أعظم قائد عرفته القرون الأولى الأسكندر ALANXDER ووجه أبيه من قبل فيليب، وخطبة طارق بن زياد هي التي فتحت الأندلس، وخطبة الحجاج أخضعت يوما العراق وأطفأت نار الفتنة التي كانت مشتعلة فيه، ثم وجهته إلى المعركة الماجدة ففتح واحد من قادة الحجاج أكثر مما فتحت فرنسا في عصرها كلّه، وبلغ الصين وحمل الإسلام إلى هذه البلاد كلّها هو قتيبة بن مسلم، ولمّا اجتاح نابليون روسيا ما أعاد لها حرّيتها ولا ردّ عليها عزّها إلا خطب **فخته** التي صارت لقومه كالمعلّقات[3].

---

[1]- عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، ص194.
[2]- المرجع نفسه، ص174.
[3]-حسين آل تامر، فن الخطابة، ص20.

الفصل الأول

الخطابة في النثر الجزائري القديم

تمهيد:

تعدّ فنون النثر الجزائري إرثا أدبيا زاخرا بالأشكال الأدبية، ألّف فيه الجزائريون بعد الفتوحات الإسلامية، بها من الخصوصيات ما يجعلنا نتعرف على الحياة الاجتماعية للمجتمعات حينئذ، في مراحل مختلفة من تاريخنا، كما نتعرف على عاداتها وتقاليدها ونمط عيشها، وهو ما يمنح هذه المادة الأدبية هوية خاصة، بحيث لها القدرة على ملامسة وجداننا والتأثير فينا، و اغناء معرفتنا بذاتنا وبهويتنا، وقبل التعرف على النثر الجزائري القديم علينا التعرف أولا على تاريخه الأدبي[1]، فالتاريخ الأدبي وثيق الصلة بالتاريخ السياسي والاجتماعي لكل أمة، بل قل إنّ كليهما لازم للآخر، مؤثّر فيه، ممهد له، معرّف به، غير أنّ الأول يسبق الثاني كما تسبق الفكرة العمل، فكل ثورة سياسية أو نهضة اجتماعية، إنّما تعدّها وتمدّها ثورة فكرية، تظهر أولا على ألسنة الشعراء وأقلام العلماء ثمّ ينتقل تأثّرهم وتطورهم إلى سائر النّاس بالخطابة والكتابة فتكون الثورة أو النهضة[2].

وتاريخ الأدب يبحث عن أحوال اللغة وما أنتجه قرائح أبنائها من بليغ النظم والنثر في مختلف العصور وعمّا عرض لها من أسباب الصعود والهبوط والدثور[3]، ولقد تناقلت كتب التاريخ أخبار الدول الإسلامية التي نشأت وسقطت على مر التاريخ الإسلامي كالدولة الأموية والعباسية والعثمانية بالمشرق، والدولة الادريسية والفاطمية بالمغرب العربي، وقد سارت هذه الدول كلّها على نهج الخلافة الراشدة وتطبيق مبدأ الشورى سواء في انتخاب الحاكم أو في حكم الرعيّة[4].

وحديثنا سيكون عن أوّل دولة إسلامية أسّست بالجزائر ألا وهي الدولة الرستمية التي نشأت واستمرت ردحا من الزمن، هاته الدولة الفتية التي دشّنت

[1]- موسى سترة: مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الفنون النثرية في الأدب الجزائري القديم، مجلد09، عدد05، تمنراست- الجزائر، ص: 918-931.

[2]- أحمد حسن الزيّات: تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية العليا، نهضة مصر للطبع والنشر، د.ط، د.ت، دار ، القاهرة، ص5.

[3]- المرجع نفسه، ص4.

[4]- زدادرة سوسن: الأبعاد الفنية و الثقافية في خطب الدولة الرستمية ، دراسة تحليلية وصفية، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، تخصص أدب جزائري ، بتاريخ 2018-2019 ، قالمة ، ص21.

عهدا جديدا لأبناء المغرب الإسلامي بتشبثها بالدين والأخلاق وحبّها للعلم، ما سمح لها بإقامة صرح الحضارة ودخول معترك العلوم والآداب، كانت من نتائجها بروز كفاءات علمية وأدبية ودينية، أنارت بعلمائها أرض المغرب في القرنين الثاني والثالث هجري[1].

فكيف كانت نشأة الدولة الرستمية؟ من هم أئمّتها؟ كيف كان الحكم فيها؟ ماذا عن حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية؟ هل برز فيها أدب؟ هل كان هناك أدباء؟ فيم تمثّل الأدب الرستمي؟ ما هي مميّزاته؟ وهل نبغ فيها خطباء؟ من هم؟ ما هي أشهر خطبهم؟.

كل هذه الأسئلة سنتطرق للإجابة عنها.

[1]- المرجع السابق ، ص21.

المبحث الأول: ماهية الجزائر والدولة الرستمية

حال المغرب العربي:

أطلق العرب اسم جزيرة المغرب على المغرب العربي حاليا، وسمّاه الجغرافيون شمال إفريقية أو إفريقية الشمالية وبعبارة أصح الشمال الغربي من إفريقية، وذلك لأنّ البحر الأبيض المتوسط يكشفها من الناحيتين الشرقية والشمالية والمحيط الأطلسي أو بحر الظلمات[1] من الناحية الغربية، والصحراء الكبرى التي تفصل بينهما وبين السودان[2] من الناحية الجنوبية.

وقد قسّم العرب جزيرة المغرب إلى ثلاث أقسام:

1- المغرب الأدنى أو إفريقية:

كان يشمل البلاد التونسية والناحية الشرقية من البلاد الجزائرية أي مقاطعة قسنطينة الحالية، ومنهم من كان يضيف إلى ذلك البلاد الطرابلسية وقاعدته القيروان.

ومن أشهر مدنه: طرابلس، صفاقش، قفصة، سوسة، تونس، قسنطينة وبسكرة[3].

2- المغرب الأوسط:

كان يشمل معظم البلاد الجزائرية الحالية باستثناء ما ذكر ويضاف إلى ذلك الناحية الشرقية من البلاد المراكشية أي مقاطعة وجدة الحالية وقاعدته تاهرت.

ومن أشهر مدنه: تلمسان، وهران، تنس، سلمة وسليمة وقيروة، هذه المدن الثلاثة الأخيرة قد عفا رسمها ولم يبق إلا اسمها ولا يعرف الآن موقعها.

1- **بحر الظلمات**: هكذا كان يسمي العرب المحيط الأطلسي قديما أي في القرون الوسطى..

2- **السودان**: كان العرب يطلقون اسم السودان على جميع البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى.

3- محمد رمضان شاوش: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، المطبعة العلوية ، مستغانم ط1، 1385 هـ- 1966 م ، ص9 – مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، تقديم و تصحيح محمد الميلي ، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان ، ج1 ، د..ط ، 1359 هـ ، ص 45.

3- المغرب الأقصى:

كان يشمل باقي الجزيرة المغربية من وادي المديّة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا والسوس الأقصى[1] جنوبا وقاعدته فاس.

ومن أشهر مدنه: نكور[2] سبتة وطنجة وليلى[3] وبصرة المغرب[4]وسجلماسة[5] [6].

أصل السكان:

ورد على إفريقية الشمالية جماعات وقبائل بشرية مختلفة منذ عهد سحيق، وطاب لها المقام بها لاعتدال مناخها وخصب أراضيها، فكانت منها الأمة الأولى لهذا الوطن، وفي القرن الثلاثين قبل الميلاد اكتسحته عن طريق مصر قبائل كثيرة موطنها الأصلي جزيرة العرب ما بين الخليج والبحر الأحمر، وبعد ذلك هاجر أقوام متعددة في أوقات مختلفة منها قبائل فلسطينية فرّت أمام يشوع بن نون، ومنها عرب يمانيون جاءوا مع افريقش أحد ملوك اليمن وأعجبتهم البلاد فاستوطنوها، فكان منهم قبيلتان: كتامة وصنهاجة على قول الطبري ومنها الفرس و الميد والأرمن أتوا إلى الأندلس في جملة جنود ملك اليونان، ولمّا توفي ذلك الملك عبر هؤلاء الناس إلى افريقية الشمالية واستقروا بها وهذه العناصر كلها امتزجت بالسكان الأقدمين وتكوّن منهم هذا الخليط عبر القرون عنصر ممتاز عرف باسم البربر، وهذا الاسم أطلقه عليهم اليونان ثمّ الرومان، وذلك لأنّهم أجانب عنهم لا يتكلمون بلغتهم، والغالب من القبائل البربرية التي عمّرت الجزائر هو متفرع عن ثلاثة شعوب عظيمة: صنهاجة، كتامة، زناتة[7].

---

[1]- **السوس الأقصى**: هو جنوب المغرب الحالي من واد أمّ الربيع شمالا إلى وادي السوس جنوبا.
[2]- **نكور**: اسم مدينة على ضفة البحر المتوسط وهي التي تدعى الآن الحسيمة
[3]- **ليلى**: اسم المدينة التي نزل بها المولى إدريس بن عبد الله لما التجأ إلى المغرب وهي كائنة بجبل زرهون في شمال مدينة مكناس
[4]- **بصرة المغرب**: مدينة قديمة على ضفة وادي سبو تبعد عن فاس بمرحلة وهي قريبة من أصيلا.
[5]- **سجلماسة**: اسم واحة بتافيلالت، كانت عاصمة بني مدرار من الخوارج الصفرية أسسها قبائل مكناسة عام (139هـ-757م)، وقد انطمست آثارها الآن
[6]- محمد رمضان شاوش: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، المطبعة العلوية ، مستغانم ط1، 1385 هـ- 1966 م ، ص10.
[7]- محمد الطمّار: تاريخ الأدب الجزائري، الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، الجزائر، ص7.

البربر:

تشبه شجرة النسب البربري إلى حد بعيد شجرة النسب التي يتكوّن منها الشعب العربي، فهؤلاء البربر شعوب كثيرة متعددة القبائل تنتهي في رأي النسابة إلى جذعين عظيمين: برنس بن بر بن مازيغ وماذغيس بن بر بن مازيغ ويلقب ماذغيس بالأبتر، فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس وينتهي البرانس والبتر معا إلى مازيغ بن كنعان من نسل حام بن نوح[1].

إنّ البربر أمة صريحة النسب، واحدة الأب، تنبع جميع قبائلها من أصل واحد وهو مازيغ بن كنعان[2].

إنّ البربر قد سبقوا الرومان إلى الحضارة، فمغربهم الذي بنوه وزخرفوه وعمّروه صار جنّة عدن بالجمال والغنى وكثرة الخيرات هو الذي لفت انظار الرومان إليهم فغزوه[3].

الجزائر العربية:

في العهد الذي كان الروم بالجزائر وقع حادث له أثر عظيم في مجرى التاريخ، ذلك هو مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في الجزيرة العربية، ونزول القرآن الكريم، وانتشار الإسلام وقيام العرب بالفتوحات، دخل العرب افريقية سنة 50هـ-670م، في خلافة معاوية بن أبي سفيان بقيادة عقبة بن نافع سنة 51هـ، فانتشروا في البلاد وأسلم أهلها، فأسّسوا دولا واسعة الأطراف شرقا، ثمّ فتحوا مصر ثمّ بلاد الأمازيغ فالأندلس[4]. أقبل البربر على الإسلام يعتنقوه وكانوا من قبل ذاقوا مرارة المستعمرين للبلاد قبل الإسلام، فالإسلام كان فرصة لهم للخلاص من الإهانة والاستعباد، أمّا من ناحية اللغة فقد أخذ البربر يقرأون القرآن ويتعلمون العربية، فأمكنهم مع توالي الأيام أن يتحدثوا بهذه اللغة ويكتبوها ويخطبوا بها[5]..

---

[1]- عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الاسكندرية، القاهرة، ط2: 1411هـ-1991م، ص 17.

[2]- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب العربي، مؤسسة توالت الثقافية، ج1، د.ط،1384هـ-1964م، ص37.

[3]- المرجع نفسه، ص34.

[4]- محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري ، ص14.

[5]- المرجع نفسه ، ص 16.

أسس البربر بعد الفتح الإسلامي عدة دول وهي دول الرستميين والصفريين والأدارسة والفاطميين والزيريين والمرابطين والموحدين والمرينيين والحفصيين وبني عبد الواد، وقد أسّست هذه الدول كلها على أساس عربي إسلامي ولم تشذ واحدة عن ذلك[1].

قامت دولة الرستميين في المغرب الأوسط التي يطلق عليها اسم الجزائر، والجزائر هو الاسم الذي اختاره التاريخ ليدلّ على عاصمة من العواصم الإسلامية الكبرى[2]، وهو اسم عربي صميم لعاصمة الوطن وأم القطر، ولم يكن هذا الاسم يطلق على الإقليم كله إلا منذ العهد التركي فقط القرن 10هـ-16م، أما قبل ذلك فقد كان يعرف عند العرب بالمغرب الأوسط وذلك لتوسطه بين المغربين الأقصى والأدنى، مراكش وتونس، أمّا مركز هذا الوطن الطبيعي فهو عبارة عن قطعة من الأرض هي واسطة عقد الشمال[3].، ومنذ وطأت رجل العرب بأرض الجزائر أخذ أهلها بتلابيب اللغة العربية، فأصبحت الثقافة الجزائرية عربية ومستقبل هذه الثقافة لن يكون إلا عربيا، وهناك ظاهرة أخرى هي أنّ الجزائريين أخذوا يذهبون إلى المشرق ويأخذون من حياض العلم العربي الإسلامي وما حلّ القرن الثاني هجري حتى كان من الجزائريين من يحسن العربية ويؤلف بها، وأصبح كثير منهم من أعلام الفكر والأدب والفلسفة[4].

لقد عمل الرستميون البربر طوال فترة حكمهم التي دامت أكثر من قرن وربع على نشر العلوم العربية والإسلام وبناء المساجد من طرابلس حتى وهران في سائر المدن والقرى، واتّخذوها مدارس وجامعات لتحفيظ القرآن الكريم ونشر علوم العربية والإسلام[5]، فكانت دولة قوية عزيزة ذات بأس وسلطان، عاصرت بني الأغلب بإفريقيا و الأدارسة بالمغرب الأقصى وكانت هي الآمرة الناهية في بلاد المغرب الأوسط[6].

---

[1]- عثمان سعدي: البربر الأمازيغ، عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ، دار الأمة، د.ط ، 2008 م ، ص126.

[2]- ينظر ، علي يحي معمر: الاباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري، ط3: 1429هـ-2008م، ص3.

[3]- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية، الجزائر،ج1، ط1، 1372هـ-1953م، ص32.

[4]- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري ، ص 17.

[5]- عثمان سعدي: البربر، الأمازيغ عرب عاربة ، ص127.

[6]- علي يحي معمر: الاباضية في موكب التاريخ، ص170.

يقول مؤرخ الجزائر الكبير الأستاذ أحمد توفيق المدني في كتابه كتاب الجزائر: " فقد كانت الدولة الرستمية أول دولة إسلامية بربرية نشأت في هذه الديار وازدهرت ونمت ونالت شهرة عالمية واسعة"[1].

نشأة الدولة الرستمية:

إنّ الدولة الرستمية نشأت بانتقال عبد الرحمن بن رستم إلى المغرب الأوسط[2]، وكان انتقاله إيذانا بظهور هذه الدولة العظيمة التي أصبحت قوة جديدة لها أثرها البالغ في تشكيل أحداث المغرب كله إلى نهاية القرن الثالث هجري، والحديث عن الدولة الرستمية سيشدّنا إلى الحديث عن مؤسسها عبد الرحمن بن رستم[3]، كان عبد الرحمن بن رستم من طلبة العلم الخمسة الذين تثقفوا وتخصصوا في العلم عند الإمام أبي عبيدة بن أبي كريمة في البصرة[4]، أي كان عبد الرحمن بن رستم ضمن البعثة العلمية التي سمي أصحابها **"بحملة العلم"** التي اعتبرت أولى الثمار الحقيقية التي جناها دعاة الاباضية بالمغرب، والذين اختارهم سلمة بن سعيد لهذه المهمة، وأصبح حملة العلم بعد عودتهم إلى بلاد المغرب من البصرة يمثلون طلائع الرابطة الجديدة التي غدت تربط بين المغرب العربي والمشرق العربي[5]، وكان عبد الرحمن بن رستم أعلم أصحابه وأذكاهم وأبرعهم في السياسة، وقد عرض عليه الجمهوريون في طرابلس إمامة دولتهم قبل أن يقدموا أبا الخطاب فاعتذر إليهم، فقدموا أبا الخطاب، وكان عبد الرحمن بن رستم أكبر أعضاء أبي الخطاب في إدارة دولته وفي تصريف أموره وفي حل المشاكل التي تستعصي عليه[6]، وقد ولاّه منصب القضاء بطرابلس[7].

خرج أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري أمام الاباضية من القيروان سنة (141هـ-758م) لقمع شوكة قبيلة فرجومة المقيمة بطرابلس واستخلف عنه عبد الرحمن بن رستم[8]، وبعد وفاته تمت ملاحقة عبد الرحمن بن رستم إلى جهات الأوراس، فنزل بجبل على مقربة من تيارت الحالية، فلم يكد يسمع الاباضيون بهذا الخبر حتى شدّوا أزره، وقدّموه أميرا عليهم، يدير أمورهم

---

[1]- المرجع نفسه، ص783.
[2]- ينظر ، محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص263.
[3]- ينظر، محمد زينهم محمد غرب: قيام وتطور الدولة الرستمية، دار العالم العربي بالقاهرة، د.ط. 2013م، ص61، محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3 ، 1408هـ-1987م، ص73.
[4]-محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير،مؤسسة توالت ،ج3، د.ط، 1384 هـ-1964م، ص233.
[5]- محمد زينهم محمد غرب: قيام وتطور الدولة الرستمية بالمغرب ، ص 67.
[6]- المرجع السابق، ج3، ص233.
[7]- ينظرالمرجع نفسه، ج3، ص233، محمد زينهم محمد غرب: قيام وتطور الدولة الرستمية، ص68.
[8]- عبد الرحمن بن محمد الجيلاني: تاريخ الجزائر العام، ص192.

ويقودهم في حروبهم ويوجههم في بناء دولتهم، فقوي حينئذ أمره وفكر في بناء وتأسيس مدينة سنة (148هـ-775م) وأصبحت قاعدة الإمارة وسمّيت "**بتيهرت**"[1]، ثمّ بويع بعد ذلك للإمارة وكانت الدولة الرستمية يوم إعلانها قد رست أركانها ورسّخت عروقها[2]، وكانت مبايعته بالإمامة سنة 160هـ أو 162هـ على قول ابن الصغير[3]، وتربّع عبد الرحمن على عرش إمارته، فكان حينئذ أول مؤسس لدولة اسلامية جزائرية مستقلة[4].

❖ نسب عبد الرحمن بن رستم:

اجتمعت كل المصادر على أنّه فارسي الأصل[5]، من عائلة الملك، فجده الخامس هو بابك ذو الأكتاف ملك الفرس، أي أنّه عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سابور بن بابك ذي الأكتاف الملك الفارسي، وكان جد عبد الرحمن الأول بهرام بن ساجور قد أسلم فحسن إسلامه فاتصل بالإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه فصار من مواليه ومن أصدقائه الذين يقربهم[6]، نفس الرواية نجدها عند ياقوت مع مزيد من الإيضاح والوصول بهذا النسب إلى الأصل الملكي فهو بهرام بن بهرام جور بن شابور بن باذكان بن شابور ذي الأكتاف ملك الفرس[7]، أمّا ابن خلدون فيجعل عبد الرحمن بن رستم من أبناء رستم أمير جيش فارس في موقعة القادسية، وقد عبر ذلك بقوله: وكان عبد الرحمن بن رستم من مسلمة الفتح وهو ولد رستم أمير الفرس بالقادسية[8].

---

[1]- محمد الطمار: تاريخ المغرب الكبير، ص 28.
[2]- ينظر ، محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص263.
[3]- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين القرن 3هـ، تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم حجاز، د.ط، 1405هـ-1985م، ص19
[4]- محمد الطمار: تاريخ المغرب الكبير، ص 28.
[5]- ينظر: محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص269 - عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر: دار ريحانة للنشر، القبة بالجزائر، ط1، 2002م، ص43 - سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، مراجعة علي الصليبي، دار الحكمة بلندن، ط1: 2005، ص42 – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ص194.
[6]- ينظر: محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص169- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص73 – إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص93.
[7]- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ص74.
[8]- ينظر: إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص93 – محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ص74.

وقال الشماخي: وسبب وصول عبد الرحمن إلى القيروان وهو فارسي أنّ أباه رستم بن بهرام قدم إلى مكة بزوجته حاجا ومعه ابنه عبد الرحمن، فمات، فتزوجت زوجته رجلا من القيروان فأقبل مع أمه إلى القيروان[1].

كان عبد الرحمن شديد الذكاء، له استعداد كبير للعلم، فعرف من دينه وأدرك بعقله أنّ العلم هو الذي يكمّل به الدين وتكون به قيمة المرء في دنياه[2].

❖ مدينة تيهرت:

عندما قرّر الاباضية بناء مدينة يتحصّنون فيها، خرجت طائفة منهم ترتاد مكانا صالحا لهذا المشروع الكبير، فاختارت موضع تيهرت دون غيره، إذ يمتاز بجودة الهواء، وكثرة المياه، وخصب الأراضي، وهو قابل للعمارة، مأمون من العدو وهي شروط اشترطوها لمدينتهم التي سوف تكون حرزا وحرصا للإسلام على حد تعبيرالشماخي[3]، فلماذا تيهرت بالذات؟ وما معنى هذا الاسم؟ وماهي مميزات هذا المكان؟.

تاهرت بفتح التاء وسكون الراء أو تيهرت بكسر التاء، مدينة قديمة، كانت موجودة بالقرب من مدينة تيارت الحالية في الجهة الغربية وعلى بضعة أميال منها، وهذه اللفظة تاهرت أو تيهرت بربرية ومعناها في اللغة العربية اللبؤة، سمّيت المدينة بهذا الاسم لأنّ المكان الذي أسست به كان من قبل عرين تلتجئ إليه لبؤة لإرضاع أشبالها، أمّا تاهرت الجديدة وهي العاصمة التي أسست أو كما سمّيت أيضا تاهرت السفلى وهي مكان يبعد عن تاهرت القديمة بخمسة أميال من الناحية الغربية أيضا وهذا المكان هو المعروف الآن بـ**تاقدمت***[4]، وقد قدّم لنا شمس الدين المقدسي في كتابه النفيس " أحسن التقاسيم في معرفة الإقليم": وصفا دقيقا لجمال مدينة تيهرت يقول: تيهرت هي اسم القصبة والعاصمة أيضا، قد أحدقت بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين ونبعت حولها الأعين وجلّ بها الإقليم وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب، يفضلونها على دمشق

[1]- ينظر: محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص273 – أحمد بن سعيد بن عبد الواحد السماخي:السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، ج1، وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ط2: 1412هـ-1992م، ص125.

[2]- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص275.

[3]- ينظر: ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص87 – أحمد بن سعيد بن عبد الواحد السماخي: كتاب السير، المرجع نفسه، ص125..

* **تاقدمت**: لفظة زناتية معناها الدف، شبه به المكان لتربيعه وهو نفس المكان الذي أنشأ الأمير عبد القادر به مدينة اتخذها مصنعا لأسلحته

[4]- محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد، ص18،20.

وأخطأوا وعلى قرطبة وما أظنّهم أصابوا[1]، وقد واصل الوصف فقال: إقليم تاهرت بلد كبير، كثير الخير رحب، رفق، رطب، رشيق الأسواق، غزير الماء، جيّد الأهل، قديم الموضع، محكم الرصف، عجيب الوصف، غير أنّه متى يقاس المغرب بالشام؟ وأين مثل دمشق في الاسلام؟ ولقرطبة اسم وذكر وشأن بها (أي تيهرت) جامعان على ثلثي البلد وقد بنيا بالحجارة، قريبان من الأسواق، من دروبهما المعروفة أربعة: درب مجانة، درب المعصومة، درب حارة الفقير، درب البساتين، بقربها مدينة تسمى رها، مسورة على البحر، شربهم من نهر[2]، وقد أصبحت هذه المدينة مضرب الأمثال في جمال طبيعتها وموقعها الممتاز[3]، وهذا الوصف كلّه إنّما هو دليل على درجتها الراقية في الجمال والحضارة[4].

تلك هي تاهرت أو تيهرت الرستمية أي تاهرت الجديدة أو الحديثة وتلك هي سيادتها التي بسطتها على جلّ أنحاء المغرب الأوسط أثناء القرن الثالث هجري، وتلك هي عظمتها التي فاقت بها الإمارات الإباضية الأخرى[5].

الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد الرستميين:

حكم الدولة الرستمية عدّة أئمة من بني رستم، وبالتالي فالحكم تعاقب بين بين أفراد الأسرة الواحدة رغم النظام الشورى القائم، كان عبد الرحمن بن رستم رجل إدارة على النحو المثالي الذي أشاع العدل في دولته، فإنّه كان رجل سياسة من طراز فريد، فلم تنحصر أفكاره السياسية داخل حدود دولته بل نظر إلى خارج هذه الدولة محاولا أن يكسب لها كل دواعي الأمن واستطاع بذلك أن يخلق حالة من الاستقرار السياسي بين دولته الناشئة وبين سائر القوى السياسية الأخرى في بلاد المغرب، فكان لذلك أثره في تدعيم أوتاد الدولة الرستمية، فأصبحت دولة قوية يهابها جيرانها، ولقد هاجر إليها الكثيرون من أهل المشرق والمغرب والأندلس، وقصدها التجار والعلماء والكتاب، فكان لذلك أثره في ازدهار الدولة، ويبدو أنّ عبد الرحمن بن رستم في أواخر أيامه قد أصيب بمرض أحس منه بدنوّ أجله فاقتدى بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجعل الإمامة شورى بين

---

[1]-ينظر: محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص248 – سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، ص79.

[2]- المرجع نفسه، ص82-83.

[3]- المرجع نفسه، ص 42.

[4]- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص249.

[5]- محمد بن رمضان شاوش: الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد، ص26.

سبع رجال من الدولة الرستمية ممّن توسّم فيهم الصلاح والعلم والتقوى والورع، توفي عبد الرحمن بن رستم سنة (171هـ-787م)، وتعتبر الفترة التي أعقبت وفاته من أحرج الفترات التي مرّت بها الدولة الرستمية[1].

تولى الإمامة بعد عبد الرحمن بن رستم ابن عبد الوهاب، وكان قد قضى أغلب سنينه إلى جوار والده، وكان قد جمع في كل هذه الفترة خبرة واسعة بفنون السياسة والإدارة والحرب، واكتسب من والده قوة الشخصية، فقوة شخصيته صقلتها ونمتها الأحداث حتى إذا جاء ذروتها انطلقت تساهم في صنع الأحداث نحو ما هو أحسن، وفوق كل هذا تمتع بين سائر أقرانه بمكانة علمية تكون رصيدها الهائل على يد اثنين من حملة العلم، أحدهما والده والثاني أبو داوود القبلي، بفضل هذه المميزات الموجودة لديه استطاع بمركزه كإمام أن يقود الدولة الرستمية التي كانت فيها الجبهة الداخلية تغلي بأزمات انفجرت تباعا.

نجح عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم في توطيد الدولة وفي الوصول بها إلى أوجّ اتساعها وترك لخلفائه دولة قوية الدعائم، متينة الأركان[2]، يقول عنه ابن الصغير: "كان عبد الوهاب هذا قد اجتمع الازدهار له من أمر الاباضية وغيرهم ما لم يجتمع للاباضية قبله، ودان له ما لم يدن لغيره، واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم يجتمع لأحد قبله"[3]، وظلّ الهدوء سائدا إلى أن توفي سنة (211هـ-826م).

تولى أفلح بن عبد الوهاب الامامة بعد وفاة والده مباشرة خوفا من تجدد الخلاف حول مسألة الإمامة، كما حدث مع والده بعد وفاة جده، ومن مظاهر ازدهار الدولة في عهد أفلح أنّه ساد الهدوء في البلاد وبدأت طلائع هذا التقدم تظهر في حياة الامام الذي شمخ ملكه وأخذ في بناء القصور وعمّرت معه الدنيا وكثرت الأموال، أمّا البلاد فقد حفت بكل أنواع التجارات التي عادت على النّاس

---

[1]-ينظر: محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، ص106-109 – ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص30-31 – علي يحي معمر: الاباضة في موكب التاريخ، ص788 – ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص 110-113 – أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي: السير، ص124 – سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة ملوك الاباضية، ص137 – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ص149.

[2]- ينظر: محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، ص112 – سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة ملوك الاباضية، ص153 – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ص195 – علي يحي معمر: الاباضية في موكب التاريخ، ص789 – أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي: السير، ص130 – ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص37-38 .

[3]- ابن الصغير: أخبار الائمة الرستميين، ص38- 39.

بأرباح وفيرة ونعمت الدولة الرستمية بالرفاهية التامة، وذلك كما قلنا أنّ الامام كان شخصية قوية متمرسة، لذا احتفظت الدولة في عهده بقوتها وكيانها وهيبتها بين جيرانها[1]، وبوفاته سنة (240هـ-854م) تغيرت الأحوال إذ تولى الامامة أبو بكر الذي لم يكن على المستوى المطلوب للحاكم الذي يسوس دولة لها أهميتها مثل الدولة الرستمية، كان أبو بكر ضعيفا ليس فيه من الشدّة في دينه ما كان فيمن قبله من آبائه وكان سمحا جوادا كما قال عنه ابن الصغير: "يسامح أهل المروان يشايعهم على مرواتهم، وكان يحب الأدب والأشعار وأخبار الماضين"، لذا مال إلى الخمول والكسل والراحة، وترك شؤون الدولة لصهره محمد بن عرفة وترتب على ذلك ضعف سلطة الامام على القبائل، مما أدى إلى زيادة الخلافات بين هذه القبائل، فكانت الحروب بينها تهيج وتسكن على حد تعبير ابن الصغير، ساءت أحوال سكان تيهرت سياسي واقتصاديا فعاش سكان تيهرت جوا من الاضطرابات والعنف[2]، إلى أن خلفه شقيقه أبو اليقظان بن أفلح الذي كان محتجزا عند العباسيين، كان أبو اليقظان بن أفلح شخصا متدينا زاهدا، مثقفا وله خبرة سياسية مكنته من استرجاع الهدوء في تيهرت وساعده في حكمه أشخاص من مختلف القبائل، انضموا إلى مجلسه الشوري، وانتشر الرخاء من جديد وازدهرت الحياة الاقتصادية والعلمية في عهده حتى وفاته سنة 281هـ[3].

خلفه أبو حاتم بن أبي اليقظان وكان يشتغل قبل ولايته في التجارة، بويع هذا الإمام يوم وفاة أبيه بالإجماع وكان كأسلافه العظام، حسن السيرة مجدّا في الإصلاح مؤثرا للعدل، محبا للدولة، رؤوفا بها، محسنا إليها، لا يألوا جهدا فيما يعود بالخير عليها[4]، وصفه الشماخي في كتابه السير: " الإمام الماهر والبحر الزاخر والعالم الذاكر" كما قال أبو زكريا عنه: " قد أطردت له الأمور ولم ينقم

[1]- ينظر: سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، ص217 – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ص197 – احمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي: السير، ص130 – ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص54 – محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، ص155 .

[2]- ينظر: ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ، ص61 – سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، ص 276 – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ص198 – محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، 156-157 – محمد زينهم محمد غرب: قيام وتطور الدولة الرستمية، ص127 – علي يحي معمر: الاباضية في موكب التاريخ، ص807 – ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص122.

[3]- ينظر: ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص74 – ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص126 – علي يحي معمر: الاباضية في موكب التاريخ، ص807 – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ، ص198

[4]- أبي الربيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الاباضية،أخذ الكتاب من صفحات كوكب المعرفة للمذهب الاباضي ، د.ط، د.ت، طرابلس ، ص51.

عليه أحد من رعيته في حكم ولا فعل" [1]، وعندما بويع بالإمامة كان عمّه يعقوب موجودا فلم يبايع ولم يعارض، ثمّ حدثت بعد ذلك فتنة كان سببها بعض من سكان العاصمة ممن لم يرضهم الإمام ببعض المناصب فأعلنوا الثورة عليه ناجزوه بالحرب واستقدموا عمّه يعقوب فبايعوه مع أنّ بيعة أبي حاتم في أعناقهم، فاشتد الخطب، واحتدم القتال فكانت حربا ضروسا شديدة الوقع، دامت نحو أربع سنين، ثمّ أدرك يعقوب خطأه فاعتزل ورجع إلى زواغة بطرابلس وأطفأ الإمام نار الفتنة آنذاك وهدأت الأمور واستقامت السيرة ورجعت الحال إلى ما ألفه الناس أيام الازدهار واستمر في حكمه اربعة عشر سنة ، إلى أن هرمت الدولة هرم الموت ومرضت مرض الزوال[2]، وعلى حين غفلة وثب ولدان لليقظان على عمهما أبي حاتم فقتلاه ونصبا أباهما على الإمامة، ولكن الأمة التي ألفت العدل والاستقامة والشورى غضبت على اليقظان وتبرأت منه وممن ولاه، ثمّ اجتنبوه فبقي منفردا هيكلا على كرسي كأنّه تمثال من القش، ولم يتمكنوا من انزاله واقامة امام بدلا عنه، حتى قدم أبو عبد الله الحجاني مولى أبي عبيد الله الشيعي فوجد اليقظان أمامه أعزل من كل سلاح وقد سخط الناس عليه وعلى من شايعه وتبرؤوا منه فقتله بسهولة مع أهله وأولاده واحتل تاهرت وتعقب أفراد الدولة الرستمية حتى قضى عليهم جميعا، وأرغم سكانها على الهروب واللجوء لمدينة ورقلة ومنهم من توجهوا إلى غرداية وجزيرة جربة بتونس[3].

خلاصة القول:

نستطيع اعتبار الدولة الرستمية التيهارتية هي الممثلة الأولى للجزائر سياسيا وحضاريا[4]، كانت الدولة الرستمية دولة الاستقرار والهناء ودولة الطمأنينة والسعادة، لم يقع لها من الاهتزاز إلا ما لا بد به للشجرة العالية التي تبسط فروعها في الجو العالي، وذلك الاهتزاز من خارجها بالعاصفة لا من داخلها ومن النتائج الحسنة لاستقرار الدولة ودلائل هدوئها ورضاها وحبها لأئمّتها، أنّ أئمة

[1]- أحمد بن سعيد بن الواحد الشماخي: السير، ص223.

[2]- المرجع السابق، ص51 .

[3]-ينظر: سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، ، ص245 – ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص23 – ابي الربيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الاباضية، ص53 – عمورة عمار: الموجز في تاريخ الجزائر، ص46 – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ص201 -202 – محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير: ج3، ص 373 – ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، ص 128.

[4]-عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ص36.

الدولة ورؤسائها ظلوا كلهم على عرش الإمامة إلى أن أدركهم أجلهم لم يثر عليهم ثائر ولا نافسهم منافس.

هؤلاء هم أئمة الدولة الرستمية الذين تولوا الحكم قرابة قرن ونصف، وعلى قول ابن الصغير دامت الإمامة في دولة بني رستم مدّة 134 سنة أو 136 سنة[1]، ولابد لكل شيء من بداية فشموخ واعتزاز ثمّ سقوط وضعف وزوال، وهذا ما حدث مع الدولة الرستمية، انطلقت انطلاقة قوية عبرت عن متانة في أركانها وقوّة في تأسيسها واستمرت في العلو والشموخ والرقيّ الحضاري ردحا من الزمن، ثمّ تداعت إلى الخمول والضعف والسقوط حتى آلت إلى الزوال سنة 296هـ، ولكن كانت حياتها غنية بالأحداث ثرية بالوقائع وزالت تاهرت بعد 152 سنة من الوجود.

المبحث الثاني: ماهية الأدب في عهد الدولة الرستمية

الحياة الثقافية والفكرية والأدبية:

ازدهرت الدولة الرستمية وأصبحت تيهرت العاصمة العالمية للمذهب الخارجي يؤمّها الخوارج من جميع الأرجاء، وأصبحت بذلك مركزا ثقافيا يضاهي بغداد وقرطبة، فعرف إذن الجزائريون الثقافة ونبغوا في مناحيها منذ عهد سحيق وخصوصا الثقافة الدينية، لأنّ الأئمة الاباضيين كانوا علماء دين ورؤساء مذهب يتطلب من أصحابه أن يكون لهم ثقافة متينة وأن يكونوا على أهبّة الاستعداد للدفاع عن آرائهم بالحجّة الدّامغة[2]، تراهم يعقدون مجالس العلم والتعليم، يعلمون النّاس ويلقون عليهم بالمساجد دروسا في التفسير والحديث والفقه والكلام والآداب والعلوم والرياضيات والتنجيم[3]، فكان عبد الرحمن بن رستم من كبار العلماء في عصره ومن الأئمة في الدين والعلوم الشرعية، وكان ذا كعب عال في اللغة العربية[4]، وكان مفسرا وله في هذا الميدان تأليف[5]، وكان ابنه عبد الوهاب من العلماء العباقرة في عصره والأدباء الفصحاء، ترك لنا شعرا ونثرا يدل على علو كعبه في الأدب، وأوردت لنا كتب التاريخ من أبناء علمه ما

---

[1]-ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستمية، ص 23.

[2]- ينظر: محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص29-30 – محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص150.

[3]- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص30.

[4]- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص 282.

[5]- المرجع السابق، ص30.

يدل على درجته الرفيعة في العلم، وألف كتبا عديدة ونظم ديوانا كبيرا في الشعر وترك من خطبه ورسائله الشيء الكثير[1]، وبرز كذلك في العلوم الدينية[2]، وكان الإمام أفلح عالما في الفلك والحساب كما كان شاعرا، ونبغ أيضا في الأدب[3].

كل الأئمة الرستميين من عبد الرحمن بن رستم وعبد الوهاب وأفلح وأبو حاتم كلهم من العلماء الفحول، لأنّ من شروط الإمامة ورئاسة الدولة العلم، فالدولة الرستمية لم تقبل لرئاستها إلا العلماء العاملين[4]، ولم تقتصر الثقافة في الدولة الرستمية على الرجال فحسب بل شملت المرأة أيضا، حيث شاركت كثيرات منهن في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية منهن: أخت الإمام أفلح التي حذقت علم الحساب والفلك والتنجيم[5]، وكان بتيهرت مكتبة من أضخم ما عرفت مدن المغرب العربي حيث حوت "ثلاثمائة ألف مجلد" من مختلف أنواع الآداب والفنون والعلوم، ولمّا دخل الفاطميون إلى تيهرت استولوا عليها وأحرقوا تلك المكتبة القيّمة[6].

ومن مراكز الفكر والثقافة في الدّولة الرستمية:

مدينة تاهرت، مدينة شروس بجبل نفوسة، ومدينة جادو، وقرية أجنان، وجزيرة جربة ورجلان وبرج جبل نفوسة الذي كان يعدّ كمنارة للفكر والعلم في عهد الرستميين[7].

علماء الدولة الرستمية:

كانت الدولة الرستمية دولة العلم والمعرفة، فكثر فيها العلماء وزخرت مدنها وقراها بهم[8] منهم من أخذ العلم بها، ومنهم من نزلوها أيام بني رستم[9]، فمن علمائها:

1- المرجع السابق ، ص334.
2- المرجع السابق ، ص30.
3- ينظر: عثمان سعدي: البربر الأمازيغ عرب عاربة، ص127 – محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية، ص153 – محمد الطمار: تاريخ الادب الجزائري، ص30.
4- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ص332.
5- عثمان سعدي: البربر الأمازيغ – عرب عاربة، ص127.
6- ينظر: عثمان سعدي: البربر الأمازيغ – عرب عاربة، ص128 – محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص30.
7- عثمان سعدي: البربر الأمازيغ – عرب عاربة، ص128.
8- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص348.
9- سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة ملوك الاباضية، ص112.

- الشيخ مهدي النفوسي، محمد بن يانس، أبو الحسن الأبدلاني، عمروس بن فتح، يعقوب بن أفلح، أبو عبيدة عبد الحميد، البجاوي ومعبد الجناوبي، بنت الإمام عبد الوهاب ونساء كثيرات ذكر الشماخي منهن الكثير، أضف إلى ذلك ابن أبي إدريس أحمد التيه، أبو العباس بن فتحون وعثمان الصفار وأحمد منصور وأبو عبيدة الأعرج[1] وهناك آخرون منهم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الشيخ قاضي الإمام أبي اليقظان، ابنه العلامة أبو محمد عبد الله قاضي الامام أبي حاتم، أبو سهل صاحب التأليف الكثيرة باللغة البربرية، كان ترجمانا للإمام أفلح، أبو عثمان سعد بن أبي يونس[2] وهناك الكثير والكثير.

أدباء الدولة الرستمية:

قد نفق سوق الأدب في ظل هذه الدولة وظهر أول جيل من الأدباء الجزائريين الحقيقيين، عالجوا الشعر فأحسنوا معالجته، ولكن ظلّ يتّسم بسمات المدرسة الشرقية، أما الإنشاء فهو مطبوع لا يلتزم فيه سجع ولا يتكلف فيه تشويه، ونلمس فيما ظهر من البوادر الأولى للأدب الجزائري شخصية تتمثل في رجال أشهرهم صيتا عند أهل العلم: الإمام أفلح، أبو سهل، ابن الصغير، يهود بن قريش التاهرتي، أحمد بن فتح التاهرتي، سعد بن أشكل التاهرتي، بكر بن حماد التاهرتي، خزاز[3]، والأديب ابن هرمة، زكريا بن بكر بن أحمد الغسالي التاهرتي[4].

كانت الدولة الرستمية ترى من كتبها النفيسة من علمائها وأدبائها هي بذور العقول الناضجة، وكانت تعتقد أنّ الدولة التي لا تزخر بالنتاج العلمي والأدبي وتكثر كتب مؤلفات أدبائها وعلمائها هي شجرة عقيمة يائسة، وكانت ترى كتب علمائها وأدبائها هي رأس مالها وعلامة غناها[5].

---

[1]- ينظر: محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ص348 – عثمان سعدي: البربر، الأمازيغ عرب عاربة، ص128.

[2]- سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة ملوك الاباضية، ص 112، 115.

[3]- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص31.

[4]- سليمان باشا الباروني: الازهار الرياضية في أئمة ملوك الاباضية، ص123.

[5]- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص351.

الأدب الجزائري القديم:

شهدت الدولة الرستمية حركة أدبية من بداية تأسيسها مع إمامها الأول عبد الرحمن بن رستم واستمرت هذه الحركة مع آخر إمام لها، فقد عرفوا بحبهم للعلم والعلماء، وكانوا هم في حدّ ذاتهم علماء وأدباء[1]، وكما قال الشماخي: " إنّهم كانوا أهل علم وفصاحة"[2]، وقيل أيضا: " أنّهم كانوا يهتمون باللغة العربية فهي كانت لغة التأليف والخطابة والأدب عندهم"[3]، والتاريخ أكبر شاهد على أنّ للجزائر أدب لا يقلّ وفرة ولا جودة عن الآداب الأجنبية، ولها أدباء كثيرون لهم صيتهم كغيرهم قديما وحديثا، هؤلاء النّاس من أبناء الجزائر، لغتهم اللغة العربية وأدبهم الأدب العربي[4]، الأدب الجزائري القديم فرع من أصل الأدب العربي الوافد مع العرب الفاتحين، غير أن هذا الفرع الأدبي قد نما و تميز و اكتسب خصوصيته الاقليمية مع مرور الزمن، فحق له أن ينسب لهذا الاقليم و يقال له أدب جزائري قديم[5].

فما طبيعة هذا الأدب؟ وما هي مميّزاته؟ وفيم تمثل؟.

- من هم أشهر الخطباء الرستميين؟ وما هي أشهر خطبهم؟

كانت البداية الفعلية لولادة الأدب الجزائري القديم مع تاريخ تأسيس الدولة الرستمية، حيث وضلنا منها أدب فيه من النثر و الشعر ما يمكن أن نسميه أدبا من حيث الكثرة و التنوع و الأدبية[6] ، و ما يهمنا من هذا الأدب هو المنثور منه.

*** النثر:** هو أسبق أنواع الكلام في الوجود لقرب تناوله وعدم تقييده وضرورة استعماله وهو نوعان: مسجع إن لزم في كل فقرتين أو أكثر قافية، ومرسل إن كان غير ذلك.

وقد كان العرب ينطقون به معربا غير ملحون لقوّة السليقة، وفعل الوراثة وقلّة الاختلاط بالأعاجم، ولم يعن الرواة من منثورهم على كثرته إلا بما علق بالذهن لنفاسته وبلاغته وإيجازه كالأمثال والحكم والأقاصيص والخطب[7].

---

[1]- زدادرة سوسن: الأبعاد الفنية والثقافية في خطب الدولة الرستمية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب جزائري، جامعة قالمة، 2018-2019م، ص31.

[2]- أحمد بن سعيد بن الواحد الشماخي: السير، ص224.

[3]- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص362.

[4]- محمد طمار : تاريخ الأدب الجزائري ،ص4.

[5]- مسعود بن ساري : مجلة مقاليد،اشكالية الهوية في الأدب الجزائري القديم، المركز الجامعي بميلة، الجزائر،العدد 4 ، جوان 2013 ،ص230.

[6]- المرجع نفسه ، ص 231.

[7]- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص18.

- **الخطابة:** من أبرز فنون النثر في الأدب العربي، وكانت ميادينها وأغراضها متعددة كما ذكرنا فيم سبق، تشمل الدين والسياسة والاجتماع والعسكرية و قد ألفت في ذلك الكتب مع وصف دقيق للخطيب وشروطه وفن الخطابة وشروطها أيضا[1].

وليس في عصور اللغة عصر زها بالخطابة وحفل بالخطباء كعصر الإسلام لانصراف العرب عن الشعر إليها لاعتمادهم عليها في الدين والسياسة[2]، ولقد سار على درب السابقين العديد من الشعوب المسلمة من بينهم خطباء بني رستم فقد عالجوا مواضيع دينية أكثر ممّا عالجوا مواضيع أدبية، لكون العلوم الدينية كانت أكثر شيوعا من العلوم الأخرى آنذاك ولكون ولاّتهم ورؤسائهم كانوا في حد ذاتهم أئمة وعلماء، فكانوا جميعهم ينطلقون من منبع واحد ليصبّوا في جدول واحد ألا وهو منبع الثقافة الإسلامية وجدول المجتمع الإسلامي[3]، والخطابة كالشعر، لحمتها الخيال وسداها البلاغة، وهي مظهر من مظاهر الحريّة والفروسية وسبيل من سبل التأثير والاقناع، تحتاج إلى ذلاقة اللسان ونصاعة البيان، وأناقة اللهجة وطلاقة البديهة[4]، ولقد عرف الجزائريون هذا النوع الأدبي عندما كان ساستهم يحدثون لغة رعيتهم و يحذقونها، وعندما كان علماؤهم متمكّنين من قواعد اللّغة متمرّسين على استعمالها منذ نعومة الأظافر، فإذا ارتجلوا بها القول أجادوا، مع رباطة جأش وفصاحة لسان وقوّة كلمة[5]، وما يؤكّد هذا الكلام ما قاله ابن الصغير:" المشهوران لهؤلاء الأئمة كلهم دواوين خطب للجمع والأعياد، إذ كانوا يخطبون بأنفسهم، ولا يعيدون خطبة خطبوا بها قط"[6]، أمّا الشماخي فقد ذكر عن الامام أفلح أنّه لم يعد خطبة قط لجمعة ولا لعيد ولا لغيرهما"[7]. وقال ابن الصغير أيضا: " ...كانت مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون فيه وخطبهم لا ينكرون عليه شيئا"[8]، وهذا اثبات على كثرة خطبائهم.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، 1500-1800، دار المغرب الاسلامي، ط1، 1998م، ص202.

[2]- المرجع السابق، ص176.

[3]-أمينة عديس: الخصائص الفنية للخطابة في العهد الرستمي، مجلة الذاكرة، العدد:5، جامعة تلمسان، ص203.

[4]- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي ، ص19.

[5]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، 202.

[6]- ينظر: ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص 87 – سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة ملوك الاباضية، ص 339.

[7]- أحمد بن سعيد بن الواحد الشماخي: السير، ص 224.

[8]- المرجع السابق ، ص339.

وكانت خطبهم تسير على نهج السابقين أي الخلفاء الراشدين على حد قول ابن الصغير: "وكل من رأيت من خطبائهم على المنابر فليس يستعملون في خطبهم إلا خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

أشهر خطب الرستمين :

اشتهر ائمة الدولة الرستمية و العديد من علمائها بالخطابة ، و قد كانوا خطباء محنكين و كان لهم العديد من الخطب، و بالرغم من الزاد الكبير الذي خلفوه الا أنه لم يصلنا منه الا القليل على قول الباروني في كتابه الأزهار الرياضية اذ قال: " و كلما بحثنا لم نعثر على شئ منها، و قد تعرض ابن الصغير لشيئ قليل من هذا الأمر "[2] ، أي لم يذكرابن الصغير في كتابه الا القليل من الخطب التي سمعها بنفسه ، و قد اعتبر ابن الصغير مؤرخا للدولة الرستمية و لكنه لم يعايش كل فترات ائمتها ، بل عاصر أواخر أيام الرستميين على حد قوله ، و ذكر أنه رأى الامام أبا اليقظان ابن أفلح فقال :"لحقت أنا بعض أيامه و إمارته، و حضرت مجلسه" ، و عاصر فترة حكم أب حاتم ابن يوسف الذي خلف أبا اليقظان[3] ، لذا لم يذكر لنا سوى خطباء تلك الفترة (فترة أبي حاتم) ، و السبب الثاني لعدم وصول كل الخطب رغم كثرتها هو إحراق مكتبة المعصومة من طرف الفاطميين ، و قد كانت تحوي الآلاف من الكتب[4]، و الخطب المذكورة في كتاب ابن الصغير هي خطبة الجمعة و خطبة التحكيم و قد نسبهما للخطيب أحمد ابن منصور على حد قوله، اذ قال : "....إلى إن ولي الخطابة رجل منهم يقال له أحمد ابن منصور ، و سمعته يخطب بهذه الخطبة ثم يخطب بعدها خطبة التحكيم"[5]، سيأتي لاحقا تعريف لهذا الخطيب .

و نصي الخطبة كالتالي :

- **الخطبة الاولى :** (الحمد لله الذي ابتدأ الخلق بنعمائه ، و تغمدهم جميعا بحسن ألائه ..) الى غاية قوله : (فختم الله به النبيئين و اكمل به الدين و أوجب به الحجة على العالمين...) [6] .

---

[1]- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ، ص106.
[2]- سليمان باشا الباروني : الأزهار الرياضية، ص 339
[3]- المرجع السابق ، ص 5
[4]- محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري ، ص 30
[5]- ابن الصغير: أخبار الائمة الرستميين ، ص 106- سليمان باشا الباروني : الازهار الرياضية ، ض 340.
[6]- المصدر نفسه ، ص 106-107-108، المصدر نفسه، ص 340-341.

- **الخطبة الثانية : خطبة التحكيم** : (الحمد لله نستعينه و نستغفره و نؤمن به و نستهديه ، و نبرأ من الحول و القوة إليه..) إلى غاية قوله : (اللهم اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالايمان و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين أمنوا...) [1] ثم تلا سورة الإخلاص.
- لم أذكر الخطبتين كاملتين لأنه سيأتي ذكر لهم بالتفصيل، في الفصل الثاني عن طريق دراستهما دراسة تحليلية.

أشهر الخطباء:

أشهر خطباء الدولة الرستمية الذين ذكرت اسماؤهم في الكتب التي وصلت الينا خمسة على حد قول ابن الصغير إذ قال: " حضرت لهم خطبا كثيرة، أوّلهم ابن أبي ادريس والثاني أحمد التيه، والثالث أبو العباس بن فتحون والرابع عثمان بن الصفار والخامس احمد بن منصور..."[2].

1- ابن أبي ادريس: (القرن الثالث هجري- التاسع ميلادي)

من علماء تيهرت الرستمية، عاصر الإمام أبا حاتم يوسف بن أبي اليقظان وتلقى علمه على مشايخ العاصمة تيهرت، ذكر ابن الصغير أنّ: " للاباضية في تيهرت الكثير من الخطباء وأورد من بينهم ابن أبي إدريس بالاسم، كان إلى جانب الخطابة فقيها أيضا، عاش أيضا مرحلة المناظرات الفقهية"[3].

2- أحمد التيه: (القرن الثالث هجري- التاسع ميلادي)

من علماء تيهرت الرستمية، عاصر الإمام أبا حاتم يوسف بن أبي اليقظان، وتلقى علمه على مشايخ العاصمة الرستمية، اختاره مؤرخ الدولة الرستمية ابن الصغير فذكره بالاسم من بين الكثير من الخطباء الذين تولوا الخطابة في المسجد الجامع بتيهرت، وهذا يدلّ على مكانته العلمية بينهم، كان بالإضافة إلى الخطابة

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 109-110، المصدر نفسه، ص 341-342.
[2]- المصدر السابق ، ص105 ، أحمد بن سعيد الشماخي :السير ، ص 224.
[3]- محمد بن موسى بابا عمي - مصطفى بن صالح باجو - ابراهيم بكير بحاز- مصطفى بن محمد شريفي: معجم اعلام الاباضية من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1: 1420هـ-1999م، ط2: 1421هـ-2000م، ص53.

فقيها، عايش مرحلة المناظرات الفقهية التي فتح بابها الرستميون لجميع المذاهب الإسلامية الموجودة بعاصمتهم[1].

3-أبو العباس بن فتحون: (أواخر القرن الثالث هجري – التاسع ميلادي)

من أعلام الدولة الرستمية، يبدوا أنّه تلقى العلم في تيهرت، ذكره ابن الصغير ضمن قائمة الخطباء في المسجد الجامع بالعاصمة تيهرت[2].

4-عثمان بن الصفار: (القرن الثالث هجري – التاسع ميلادي)

عاش في عهد الدولة الرستمية و عاصم أبا حاتم بتيهرت، تلقى العلم عن مشايخها، فقد كانت تيهرت في العلم آنذاك عراق المغرب، كان عثمان خطيبا في مسجد من مساجد تيهرت[3].

5-أحمد بن منصور: (أواخر القرن الثالث هجري – التاسع ميلادي)

من علماء تيهرت الرستمية تلقى العلم بها على علمائها، كان فقيها خطيبا في جامع تيهرت أيام الإمام أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان[4]، وقد ذكره ابن الصغير منفردا فقال عنه: "... إلى أن ولي الخطابة رجل منهم يقال له أحمد ابن منصور وسمعته يخطب بهذه الخطبة ثم يخطب بعدها بخطبة التحكيم"[5].

خلاصة:

إنّ الحركة الثقافية والفكرية والأدبية نشطت نشاطا لم تعرفه الجزائر من قبل، وقد شارك فيها أهل القيروان بعلومهم وآدابهم أيضا، ولقد زخرت الدولة الرستمية بعلمائها وأدبائها وافتخرت بنتاج مؤلفاتهم واعتبرتها ذخيرة وزادا لا يمكن الاستغناء عنه.

حتى يمكننا القول: أن عصر الرستميين مثّل حضارة ومركزا هاما من مراكز العلم والأدب، وكما قيل في معظم كتب التاريخ ليست هناك دولة من الدول

[1]- المرجع نفسه ، ص39.
[2]- المرجع السابق ، ص241.
[3]- المرجع السابق، ص287.
[4]- المرجع نفسه، ص51.
[5]-ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص106.

الإسلامية تداني حضارة هذه الدولة فيما بلغته من الرقيّ والازدهار المادي والأدبي، فقد بلغت تيهرت يومئذ شأنا عظيما من المدينة والعمران ومن توفر أسباب الحضارة والرفاهية حتى أنّها كانت كما قيل عنها حقا تشبه أو تقاس بقرطبة وبغداد ودمشق من عواصم الشرق اللامعة وحتى أنّها سمّيت أو أطلق عليها اسم " بلخ المغرب" أو "عراق المغرب" .

نعم حلت الهزيمة بالرستميين و لكنها لم تحل بالأدب ، لم تنطفئ شعلته، بل بقي وميضه ينير الدرب ، و بقي عشاقه و التواقين إليه ، ضف إلى ذلك أنه من خلف الرستميين جاءت أمم اتخذوا من ذلك الأدب أداة ترويج و دعاية لبدأ عهد جديد.

الفصل الثاني

بلاغة الخطابة في النثر الجزائري القديم

" خطبة أحمد بن منصور "

تمهيد:

إنّ العرب قد برعوا في قول الشعر وأبدعوا فيه بحيث صار عنوان أمّتهم ودستور حياتهم ودليل بلاغتهم، فقد اعتبروا سادة البيان والخطابة، وكانت عندهم فنا من فنون الكلام المنثور، وللخطابة جمالية خاصة جعلتها تستميل القلوب قبل العقول، والكلام الذي يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، ويكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك، فهذا ما يعرف بالبلاغة[1]، وكما قال ابن المعتز والشيباني: " إنّ البلاغة بثلاثة أمور: أن تغوص لحظة القلب في أعماق الفكر، وتتأمل لوجوه العواقب وتجمع بين ما غاب وما حضر[2]، فالبلاغة إذن: هي فن التواصل والتخاطب بما يجمع بين سلامة العبارة وبراعة الإشارة وحسن الصياغة وجودة النظم وعمق الدلالة ووضوح القصد ومراعاة الحال والسياق[3]، كل هذه العناصر متوفرة في الخطابة والإشكال المطروح: ما علاقة البلاغة بالخطابة؟

علاقة البلاغة بالخطابة علاقة وطيدة، علاقة قديمة قدم هذا العلم وهذا الفن، فجمال الخطابة يتجلى في بلاغتها من حيث جمال ألفاظها ومعانيها وأسلوبها للوصول إلى الغاية المقصودة والأغراض المنشودة التي لا تعيقها القيود ولا تقف عندها الحدود، لأنّ مقاصد الكلام وأغراضه كثيرة متنوعة تستعصي على الإحاطة والإحصاء، ومجال الذهن للتأمل فيها واسع فسيح، والعربية بطبيعتها مطواعة تستجيب لكل أشكال التعبير والإفصاح عن مكنون التفكير، وهذا ما يستدعي إنعام النظر وإعمال الفكر وتحكيم الذوق في كل أثر من دلالات العبارة وإيحاءات المعنى ومحاسن الإشارة[4].

فالبلاغة بفنونها الثلاثة المعاني – البيان والبديع وسائر الفنون الأدبية نتجت عن عناصر الجمال الأدبي في الكلام[5] .

---

[1]- عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، ص27.

[2]- أحمد أبو زهرة: الخطابة أصولها ، ص24.

[3]- عبد العليم بوفاتح: فنون البلاغة العربية، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، د.ط:1430هـ-2009م، ص17.

[4]- المرجع نفسه، ص7.

[5]- عبد الرحمن حسن حبنكة : البلاغة العربية – أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، الدار الشامية ببيروت، ج1، ط1: 1416هـ-1996م، ص11.

وخير الكلام كما قال صفوان وهو من فصحاء العرب المشهورين عندما كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك: خير الكلام ما طرفت معانيه، وشرفت مبانيه، تلذذت آذان سامعيه"[1].

والجمال شيء يصعب تحديده ولكن باستطاعة النفس أن تحس به وتتذوقه متى أدركته عندئذ تميل إليه وتنجذب نحوه وتأنس به وترتاح إليه، وفي الأخير تستمتع بلذّة إحساس المشاعر به ولو تخيلا[2]، ومثال ذلك عندما يكون موضوع الخطبة وصف للجنّة وأنهارها وعيونها وملذاتها والعكس، أي مع الترهيب والترغيب، وللكشف عن جوانب الجمال والإبداع في النصوص الأدبية الراقية الجميلة علينا دراستها دراسة تحليلية فنّية.

وقد وقع اختياري على خطبة تعدّ واقعة جمالية فنّية من حيث بنائها ومضمونها وهي **لأحمد بن منصور: خطبة الجمعة و خطبة التحكيم**.

ويمكن الكشف عن هذه الجمالية من ناحيتين:

- **بنائها الخارجي**.
- **بنائها الداخلي**.

[1]- عبد الرحمن حسن حبنكة : فنون البلاغة العربية، ص13.
[2]-المرجع نفسه، ص20.

المبحث الأول: البعد الخارجي للخطبة (البناء الخارجي):

1- خطبة الجمعة:

"الحمد لله الذي ابتدأ الخلق بنعمائه، وتغمّدهم جميعا بحسن آلائه، فوفق كل أمرئ منهم في صبائه، على طلب ما يحتاج إليه من غذائه، وسخر له من يكلؤه إلى وقت استغنائه، ثمّ احتجّ على من بلغ منهم بآياته وأنذرهم بأنبيائه، وأعذر إليهم ببلائه الذي لم يزل بصفاته وأسمائه، لا يشتمل عليه زمان ولا يحيط به مكان، خلق الأماكن والأزمان[1]،"ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين"[2] فقدّرها أحسن تقدير، واخترعها من غير نظير، لم يرفعها بأعمدة تدرك بالمعاينة، ولم يستعن عليها بأحد استكبارا عن الشركة والمعاونة وزيّنها للناظرين، وجعل فيها رجوما للشياطين فتبارك الله أحسن الخالقين، تعالى أن تطلق في وصفه آراء المتكلفين أو أن تحكم على دينه أهواء المقلّدين، بل جعل القرآن إماما للمتّقين وهدى للمؤمنين وملجأ للمتنازعين، وحكما بين المتخالفين ودعا أولياءه المؤمنين إلى اتباع تنزيله، وأمرهم عند التنازع في تأويله بالرجوع إلى قول رسوله صلى الله عليه وسلم، بذلك نطق حكم كتابه إذ قال جلّ ثناؤه: "يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا"[3]، وتعهد نبيّه صلى الله عليه وسلم عند رجوع الأمّة في تأويل ما أشكل عليها إليه بأن بيّن لهم معنى ما أنزل عليه فقال: "ما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون"[4]، ولم يكلّ لهم تعالى إلى القول في دينه بآرائهم، ولا أذن لهم في مسامحة أهوائهم فتكون الأحكام مبتدعة، والآراء مخترعة والأهواء متّبعة، بل أحصاها كل شيء عددا وضرب لكل شيء أمرا، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحي من حيي عن بيّنة، أحمده حمدا يبلغ رضاه وأستعينه على ما استحفظنا من ودائعه وحفظنا ما استودعنا من شرائعه وأومن به إيمان من أخلص له عبادته واستشعر طاعته وتوكل عليه توكل من انقطع إليه ثقة به ورغبة فيما لديه، وأشهد أن لا إله

---

[1]- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص106- سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة ملوك الاباضية ، ص340.

[2]- القرآن الكريم: سورة فصّلت، الآية 10.

[3]- القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 59.

[4]- القرآن الكريم: سورة النحل، الآية64.

إلا الله وحده لا شريك له شهادة معترف له بالربوبية، والتوحيد مقرا له بالعظمة والتمجيد، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله، اصطفاه لنفسه وليا، وارتضاه لخلقه نبيا فأوجده على حفظ ما ضمنه قويا، وبأداء ما استودعه مليا، وبالدعاء إلى ربّه حفيا ومتوقفا عن ورود المشكلات ومستمرا عند انجلاء الشبهات، لا يرعوى لمن عذله ولا يلوى على من خذله ولا يطيع غير من أرسله، يصدع بالأمر ويطفئ نار الكفر ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولم ينحرف عنه لرغم راغم، أرسله على حين فترة من الرسل ودرس من السبل وتضامن من أهل الملل، والنّاس فريقان عالم متكبر وجاهل مستظهر، فالعالم الذي سبق له الخذلان ينزعه الشيطان ويجمح به الطغيان، فيستنكر عن الدخول في دين الإيمان، والجاهل مستنكر في غيّه متحيّر في أمره منتظر ما يكون من غيره، فلم يزالا يعكفان على الأزلام، ويعتصمان بالأصنام والرسول عليه السلام يرعاهم رعي السوام ويدعوهم إلى دار السلام، فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعظهم بالآيات ويقرعهم بالمعجزات حتى استقام من أراد الله توفيقه من سائر أهل الديانات، فبلّغ المحكمات، وأوضح المشكلات وزجر عن القول في الدّين بالشهوات، فختم الله به النبيّين وأكمل به الدّين وأوجب به الحجة على العالمين "صلى الله عليه وعلى آله الطيّبين وإخوانه من المرسلين وأوليائه من المؤمنين"[1].

2- خطبة التحكيم:

"الحمد لله نستعينه ونستغفره ونؤمن به و نستهديه ونستنصره، ونبرأ من الحول والقوّة إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، الله ربّنا ومحمد نبيّنا والإسلام ديننا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا، رضينا بحلاله حلالا وبحرامه حراما، لا نبتغي عنه بدلا ولا عنه حولا و لا

[1]-ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص107 ،109،108– سليمان باشا الباروني: الازهار الرياضية في أئمة ملوك الاباضية، ص341.

نشتري به ثمنا، لا حكم إلا لله إتباعا لكلام الله وسنّة نبيّه عليه السلام، وخلافا لأهل البدع، لا حكم إلا لله خلعا ونبذا وفراق لجميع أعداء الله، لا حكم إلا لله ولو كره الجبّارون الحاكمون بغير ما أنزل الله، وأشهد أنّ من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت ورحمت على إبراهيم وعلى أل ابراهيم إنّك حميد مجيد، اللهم صل على العصبتين المباركتين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، اللهم صلّ على الخليفتين المباركين بعد نبيّك محمد أبي بكر وعمر، اللهم وأصلح الأمير يوسف بن محمد أصلحه وأصلح على يديه ووفقه للخير، وأعنه عليه وافتح له من عندك أعوانا وأنصارا على طاعتك، اللهم أعزر به الإسلام وأهله وأذلل به الكفر وأهله، أنصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا يسيرا، وهب له من عندك سلطانا نصيرا، كفى بك وليا ونصيرا، اللهم اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربّنا إنّك رؤوف رحيم، بسم الله الرحمن الرحيم: " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد" [1].

المعنى العام للخطبة:

*الخطبة الأولى: خطبة الجمعة

يتّضح لنا من خلال خطبة أحمد منصور أنّه سيّد البلغاء ومورد الفصاحة، أظهر هذه الصفات في ثنايا الخطبة، أضفى عليها لمسة من الدّين الاسلامي وعبقا من النبوّة، جاءت كلماتها في غاية الاحكام بعيدة عن التصنّع والتّكلف، تكاد هذه الخطبة تكون من نسج الحقيقة، تقسّم هذه الخطبة إلى ثلاث أقسام:

[1]-ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص 110– سليمان باشا الباروني: الازهار الرياضية في ائمة ملوك الاباضية، ص342.

- **القسم الأول**: من قوله: " الحمد لله الذي ابتدأ الخلق بنعمائه وتغمّدهم جميعا بحسن آلائه، فوفق كل أمرء منهم في صبائه..."، إلى غاية قوله: "...ثمّ احتجّ على من بلغ منهم بالآيات وأنذرهم بأنبيائه..."[1].

وظّف الخطيب لفظة " الحمد لله " لكي يثبت بها انتماءه إلى المنظومة الدينية الخالصة، وهي المنظومة التي تفرض عليه بشكل أو بآخر هذا النموذج كي لا يخرج أو يزيح عن منوال ما خطب به الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، كما وكانت خطب الرستميين سيرا على خطاهم دوما، كما قال ابن الصغير: "وكل من رأيت من خطبائهم على منابرهم فليس يستمعون إلا خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه[2].

فهي كانت تعدّ بمثابة حصن أو درع يحتمي به الخطيب، أمام المستمع أو المتلقي للخطبة الذي يكون إمّا عامة للنّاس وإمّا من أصحاب السلطة، بعد ذلك يلج الخطيب إلى ذكر أو التذكير بنعم الله وآلائه على جميع خلقه وشكره، وهو بهذا التذكير يريد ترسيخ فكرة شكر الله وحمده بطريقة غير مباشرة، ثمّ يرتقي التذكير من كونه تحفيزا على شكر الله إلى التذكير نفسه ليتمكّن من ترسيخه في الأذهان.

- **القسم الثاني:** من قوله: "... الذي لم يزل بصفاته وأسمائه، لا يشتمل عليه زمان ولا يحيط به مكان، خلق الأماكن والأزمان..."، إلى غاية قوله: "... وزجر عن القول في الدّين بالشهوات..."[3].

بدأ هذا القسم بذكر صفات الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا ندّ، وهنا قد اختار من الصفات التي لا تلامس القلوب وتبعدها عن الكفر وذكر صفات الله وتعدادها أو ذكر بعض منها لأنّها تمثل عنده تعظيما للخالق، فلا يمكن للخطيب الاستغناء عنها، وهذه جمالية في حدّ ذاتها، المقصود منها شد الانتباه أكثر للموضوع والتـأثير في نفس الوقت، ومن تلك الصفات: الخالق وذلك في قوله: " خلق الأماكن والأزمان "، القادر في قوله: " فقدّرها أحسن تقدير، واخترعها من غير نظير " وكذا قوله: "لم يرفعها بأعمدة تدرك بالمعاينة" أي لا ترتكز السّماء

[1]-ابن الصغير: المرجع السابق ، ص 106– سليمان باشا الباروني: المرجع السابق ، ص340.
[2]-المرجع نفسه ، ص105– المرجع نفسه ، ص340.
[3]-ابن الصغير: المرجع نفسه، ص106– سليمان باشا الباروني: المرجع نفسه، ص341.

على أعمدة ترى بالعين المجرّدة، وفي قوله: " وزيّنها للناظرين" يقصد بها النجوم والكواكب وجمالها، ومن الصفات والأسماء أيضا الإله الواحد و الرب المعبود وملك الملوك والملكوت، وذلك في قوله: "تعالى أن تطلق في وصفه آراء المتكلفين" وكذا "أو أن تحكم على دينه أهواء المقلّدين"، كلّ هذه الصفات دلائل وبراهين وحجج دامغة تدل على ربوبية الله وإعجازه في خلقه.

ثمّ انتقل بعد هذا الوصف المثير وعرج إلى وصف الكتاب العظيم وما فيه من نور مبين ينير ظلمات السائرين والتائهين الراجين الوصول إلى رضا الرحمن الرحيم للفوز بجنّات النّعيم، فهو خير وسيلة للخروج من براثين الجهل والجاهلية وإتباع حذافير العقيدة الإسلامية، وذلك بإتباع الطريق المستقيم واللجوء إلى أحكامه وقواعده لحلّ الخلافات والنزاعات لسير آمن وسليم واللجوء في هذا وذاك إلى رسول وقدوة طالما كان الحكم والمشكاة وإتباعه في أمره ونهيه، وعدم مخالفة أمره فهو بكلّ شيء حكيم وعلى كلّ أمر فهيم فعليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فمن اتبع طريقه سلم ومن اتبع غير ذلك ظلم أي ظلم نفسه وأخذها إلى الهاوية، بعد كل هذا الوصف الجميل انتقل الخطيب إلى حمد الله وشكره وتعظيمه تعظيما يليق بقدره وشأنه، مع الإقرار لله بالعبودية وذلك في قوله: "وأومن به إيمان من أخلص له عبادته واستشعر طاعته"، وفي الخطب دائما هناك تصديق بوحدانية الله عزّ وجلّ، ويظهر هذا من خلال الإقرار بالشهادتين سواء في المتن أو آخر الخطبة والشاهد على هذا النص: "وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة معترف له بالربوبية والتوحيد، مقرا له بالعظمة والتمجيد"، يلي ذلك صلاة وسلام على الرسول الكريم مرتبطة بالشهادة وذكر لصفاته ووظائفه التي بعثه الله رسولا لأدائها وتبليغها للنّاس، فأداها على الوجه المطلوب ورسالته كانت معلومة وهي دعوة العالمين إلى عبادة رب الخلق أجمعين، ومن أسماء الرسول التي ذكرها: رسول الله، المصطفى، النبيّ، الأمين، المتضرع إلى الله، المرشد، المطيع... وكلّ هذه الأسماء في قوله: "اصطفاه لنفسه وليا، وارتضاه لخلقه نبيا،

فأوجده على حفظ ما ضمنه قويا، وبأداء ما استودعه مليا"، "ولا يطيع غير من أرسله"، "يصدع بالأمر ويطفئ نار الكفر"[1].

أما في الجزء الأخير من هذا القسم فقد قدّم لنا الخطيب وصفا عن الكافرين، وهذا الوصف قد جاء نتيجة لأحداث تزامنت مع نزول القرآن، فالكافر هنا رافض لأيّ بديل عن تلك الأصنام والأزلام متبعا طريق الشيطان، والرسول مع كل هذا وذاك يواصل دعوته إلى دين الله بالرغم من الرفض والاعراض، يعظ بالآيات ويقدّم المعجزات ليعتبر من اعتبر ويعود إلى طريق الحق وينجو من الزلل، ومع كلّ هذا هناك من يستقيم وهناك من يبقى سقيم والله دوما هو الموفق والمعين، فمن يرد الله أن يهديه يرسل له من السماء نفحات تصفي قلبه وتطهره، ومن يرد أن يبقى في الضلال يجعل صدره ضيّقا حرجا، ورسولنا الكريم صاحب الخلق العظيم يظل حجة لنا وعلينا فقد أدى الأمانة وبلّغ الأمّة.

- **القسم الثالث**: من قوله: "فختم الله به النبيّين" إلى غاية قوله: "وإخوانه من المرسلين وأوليائه من المؤمنين"[2].

ختم الخطيب خطبته بالحديث عن خاتم النبيّين محمد صلى الله عليه وسلم بأنّه أدى الأمانة ونصح الأمة وأوجب الحجة، ثمّ أنهى كلامه بالصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه وواله إلى يوم الدّين.

*الخطبة الثانية: خطبة التحكيم

خطبه التحكيم تأتي بعد الخطبة الأولى من كل جمعة، وهي خطبة ثابتة لا تتغير، وتقسم هذه الخطبة إلى ثلاث أقسام:

1-**القسم الأول**: من قوله: "الحمد لله نستعينه ونستغفره ونؤمن به" إلى غاية قوله: "ليظهر على الدّين كلّه ولو كره المشركون".

[1]- ابن الصغير: أخبار الائمة الرستميين، ص108 – سليمان باشا الباروني: الازهار الرياضية، ص341.
[2]- المرجع نفسه، ص109– المرجع نفسه، ص341.

ابتدأ الخطيب هذه الخطبة بالحمد والاستعانة والاستغفار، وهذه كلّها دلالات كما سبق الذكر دليل على انتمائه للإسلام ودين الحق، فهي تقليد للسلف الصالح.

والبدء دائما بالحمدلة "الحمد لله" في الخطب الرستمية يمثل جزء لا يتجزأ من الخطبة، ولا يمكن الاستغناء عنه، وهو في كل الخطب كذلك يقرّ بعبودية الله وحده والإيمان الصادق واليقين الخالص له.

2-**القسم الثاني**: من قوله: "الله ربنا ومحمد نبينا والإسلام ديننا" إلى غاية قوله: "فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون"[1].

الخطيب هنا يرسم لنا طريق السابقين الأولين من المؤمنين، الطريق المؤدي إلى النجاة فليس لنا إله سوى الله المعبود وقدوة كمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، والإسلام لنا دينا والكعبة قبلة والقرآن لنا نورا ودستورا نرضى بما أحله ونبتعد عمّا حرّمه ليس لنا بديلا سواه، ونشهد بما أقرّه الله ونتبرأ من الكافرين والظالمين والفاسقين الذين خالفوا حكم الله.

3-**القسم الثالث**: من قوله: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد..." إلى قوله: "ربّنا إنّك رؤوف رحيم، بسم الله الرحمن الرحيم: "قل هو الله أحد...كفؤا أحد"[2].

بدأ الإمام هذا الجزء بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم "الصلاة المحمدية"،ثمّ ولج إلى ذكر العصبتين المباركتين ألا وهم الأنصار والمهاجرين من باب الدعاء لهم، ثمّ عرج إلى الدعاء بالرحمة للغزاة المجاهدين في سبيل الله، ثمّ ذكر الخليفتين أبي بكر وعمر بن الخطاب وتذكير بمناقبهما وختم الخطبة بالدعاء لخليفة المسلمين وإمامها أبو حاتم يوسف بن محمد فدعا له بالصلاح و الهداية، وإعانته على فعل الخير لما فيه صلاح الدين والدولة، ثمّ دعا له بالغفران له ولكل المؤمنين السابقين واللاحقين ثمّ ختم بقراءة سورة الإخلاص، لختم الرسالة بالتأكيد الجازم والدائم لوحدانية الله " قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد" [3].

---

[1]- ابن الصغير: المرجع السابق، ص109– سليمان باشا الباروني ، المرجع السابق، ص342.
[2]- المرجع نفسه ، ص110 – المرجع نفسه ، ص342.
[3]-القرآن الكريم: سورة الاخلاص.

خلاصة القول: في هذه الخطبة نجد أنفسنا كأنّنا أمام عقد لؤلؤ فريد، رصّت حبّاته بطريقة متسلسلة خارقة للعادة ومحكمة الانجاز، استمال بها الخطيب العقول قبل القلوب، ونلحظ من هذا الفهم للمعنى العام للخطبة أنّ الخطيب لم يخرج عن الهيكل البنائي المعروف لبنية الخطبة والمتمثل في: مقدمة، مضمون وخاتمة.

وهذا دليل على أنّ خطب الدولة الرستمية كانت نسخة طبق الأصل عن الخطب الدينية.

1- بنية المقدمة:

هي فاتحة الكلام ومرجع فحواه وهي بمثابة الأساس من البناء والرأس من الأعضاء، وجب أن تكون محكمة الوضع، مناسبة مشوقة للسامعين، مبسطة الكلام[1]، تستهل الخطب الدينية دوما بالبسملة والحمدلة والتمجيد والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم، وقد قيل لخطب زياد بن أبيه بأنّها بتراء، لأنّها كانت تخلو من الحمدلة والصلاة على رسول اله، وكما أنّ خطب الجمعة إذا لم تقترن بالحمدلة والشهادة فهي جذماء[2].

2- بنية المضمون:

يكون الخوض فيه حول الهدف المراد إيصاله للسامع أو المتلقي والتأثير فيه وعرض الفكرة والمراد بتبليغها للمخاطبين، أي الهدف من الخطبة وهنا تظهر براعة وابداع الخطيب وبلاغته الأدبية والجمالية، وهذا ما سار عليه وحذا حذوه أبو منصور فقد كان مضمون خطبته عبارة عن إرشادات ونصائح ومواعظ وتذكير ونواهي، يجب على كل مسلم الانتباه لها والسير على خطا السابقين الصالحين للنجاة والفلاح.

3- بنية الخاتمة:

الختام وهو أخر ما ينتهي إلى آذان السامعين من كلام الخطيب ويسمى أيضا حسن الانتهاء وحسن المقطع، وكما يجب التألق في المطلع، يجب البراعة في

[1]- علي محفوظ: فن الخطابة، ص51.
[2]- أمينة عديس: مجلة الذاكرة، ص204.

المقطع، إذ هو الأثر الباقي في نفوس السامعين بعد الإتمام وآخر ما يتردد صداه في قلوبهم و به تتم الفائدة[1]، وفي آخرها كانت الخطب الدينة تختم دائما بالدعاء للإمام أو الحاكم الهداية والصلاح، وأحيانا بالثبات للمؤمنين في الغزوات وغير ذلك، وكذا الصلاة والسلام على رسول الله وهذا ما رأيناه في هذه الخطبة.

المبحث الثاني: البعد الداخلي للخطبة (البناء الداخلي):

اللغة (المعجم اللغوي):

اللغة صورة طبق الأصل عن صاحبها ، فهي تعكس داخله بأفكاره و مشاعره و أحاسيسه والشخص رفيع الأدب، مرهف الحس في ذوق الكلمات، يختار من كلامه اللين السهل والقوي الجزل، ويضع ما يختار في موضعه مراعيا حال المخاطب وما سيره نصب عينيه ويختار من المفردات ما يلائم ذوقه ولغة قومه[2]، فاللغة تعتبر الوسيلة المهمة والأساسية التي يعتمد عليها الأدباء والخطباء في تبليغ مضمون كتاباتهم أو خطبهم أو كلامهم، ويحسن بالخطيب أن يختار لبعض الموضوعات مفردات ذات جرس موسيقى وإيقاع رشيق، وعليه أن يختار أيضا من الكلمات ما يلائم المعنى من لين وسهولة أو قوّة وجزالة، ويختار من الكلمات أيضا ما هو أليف بالمناسبة وبالموضوع العام للكلام وعليه بالابتعاد عن الحوشي الغريب[3]، أي لابدّ للغة الكلام أو الخطاب أن تكون فصيحة بليغة لا غموض فيها ولا لبس لتكون مفهومة للعوام أي غير معقدة ولا مكلفة وخطب الدولة الرستمية على ما يبدو أنّها كتبت كلها بلغة عربية فصيحة، فقد عرف عن أئمتها وعلمائها أنّهم أتقنوا وبرعوا في اللغة العربية، وقد جاءت هذه الخطبة حاملة في طياتها العديد من العبارات الدينية المألوفة في الأدعية والخطب الإسلامية ومن أمثلة ذلك:

" بل جعل القرآن إماما للمتقين"، " وهدى للمؤمنين، وملجأ للمتنازعين"، " دعا أولياءه المؤمنين إلى إتباع تنزيله"، " أحمده حمدا يبلغ رضاه ويحسن آلائه"، " أتوكل عليه توكل من انقطع إليه ثقته به"، " أشهد أن لا إله إلا الله"، " خائفا من

---

[1]- المرجع السابق، ص57.
[2]- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: البلاغة العربية ، أسسها وعلومها، ص30-31.
[3]- المرجع نفسه، ص30.

انجاز ما قدم إليه من الوعيد"، " لا يطيع غير من أرسله"، " يصدع بالأمر ويطفئ نار الكفر"،

" من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له"، " أرسله بالهدى ودين الحق"، " اللهم أعزز به الإسلام وأهله"... وكذلك كل كلماتها عربية فصيحة نزل بها القرآن الكريم، وهذا دليل على تأثر خطباء بني رستم بلغة القرآن البليغة وحبّهم الشديد لها التي زانت وصانت كلامهم وأعطته رونقا وجمالا وبلاغة لا تضاهيها بلاغة ومن أمثلة ذلك العديد منها: (الخلق، آلائه، امرئ، آياته، أنذرهم بأنبيائه، خلق، السّماء، الأرض، أولياءه، المؤمنين، أحصاها، عددا، يصدع، الأزلام، زجر، نعوذ، كره، المشركون، نشتري، تغمد، استوى، دخان...)، وقد استخدم الخطيب اللغة التصويرية مثل: "زيّنها للناظرين وجعل فيها رجوما للشياطين"، وهذا التقديم صورة مجسّمة للسماء وعظمتها.

أ- الألفاظ:

الألفاظ زاد الخطيب فهي تقيه عناء الطريق ليصل إلى السبيل المنشود بهمة عالية ، قاصدا تبليغ ما يريد إيصاله إلى السامع بأفضل الأساليب، وعليها أن تكون فصيحة بعيدة عن العامّية سلسة غير صعبة يفهمها العالم والمتعلم.

دارت ألفاظ الخطب الرستمية أو بالأخص خطبة أحمد بن منصور حول التذكير بعظمة وقدرته، وكذا توجيه النّاس لطاعته و إرشادهم إلى إتباع هدي نبيه محمد صلى الله عليه و سلم ، و السير على خطى و تعاليم القرآن الكريم ، كما حذرت في غالب الأحيان من الوقوع في الخطأ و إتباع الشيطان .

ج- التراكيب:

نعني بالتراكيب تلك الألفاظ والكلمات والجمل والأدوات اللغوية التي يستخدمها الخطيب في كلامه ليتحقق التناسق والانسجام الدائم بين اللفظ والمعنى[1]، ويجب أن يسلم التركيب من التعقيد المعنوي، وهو أن يعمد المتكلم إلى التعبير عن معنى، فيستعمل فيه كلمات في غير معانيها الحقيقية فيسيء اختيار الكلمات للمعنى الذي يريده فيضطرب التعبير و يلتبس الأمر على السامع[2].

إذن عناصر البلاغة لفظ ومعنى وتأليف للألفاظ التي تمنحها قوّة وتأثيرا وحسنا، لذا لابد من حسن التركيب لكي يتحقق هدفها البلاغي وهو التأثير في النفوس و الهدف من هذا كلّه الرقي بالنص الأدبي ليصل الى درجة الفهم و بلوغ الغاية و الهدف.

و قد درست التراكيب من ناحية تركيب الجمل الفعلية و الاسمية.

الخطبة الأولى:	**خطبة الجمعة**
الجمل الفعلية:	**الجمل الاسمية:**
- تغمدهم جميعا بحسن آلائه. - وفق كل امرئ منهم في صبائه. - سخّر له من يكلؤه. -احتجّ على من بلغ منهم. -أنذرهم بأنبيائه. -لا يشتمل عليه زمان. -خلق الأماكن والأزمان.	- الحمد لله ابتدأ الخلق بنعمائه. - والنّاس فريقان، عالم متكبر و جاهل مستظهر. - العالم الذي سبق له الخذلان. - الجاهل مستنكر في غيه. - الرسول عليه السلام يرعاهم رعي السوام

[1]- زدادرة سوسن: الأبعاد الفنية و الثقافية في خطب الدولة الرستمية ، ص 48.
[2]-علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة – البيان – المعاني – البديع، دار المعارف، د.ط، د.ت، ص9.

-قدّرها أحسن تقدير. -اخترعها من غير نظير. -لم يرفعها بعمد تدرك بالمعاينة. -ولم يستعن عليها بأحد استكبارا. -جعل فيها رجوما للشياطين. -استشعر طاعته وأتوكل عليه. -يصدع بالأمر ويطفئ نار الكفر. -لم تأخذه في الله لومة لائم. -أرسله على حين فترة من الرّسل.	
الخطبة الثانية:	**خطبة التحكيم**
الجمل الفعلية	**الجمل الاسمية**
- نستغفره ونؤمن به. - نستهديه ونستنصره. - رضينا بحلاله حلالا وبحرامه حراما. - لا نبتغي عنه بدلا. - لا نشتري به ثمنا. - نبرأ من الحول والقوّة. - نعوذ بالله من شرور أنفسنا. - من يهد الله فهو المهتدي.	- الله ربّنا ومحمد نبيّنا. - الكعبة قبلتنا والقرآن إماما. - لا حكم إلا لله اتباعا لكلام الله. - لا حكم إلا لله خلعا ونبذا.

- من يضلل فلا هادي له. - نشهد أن لا إله إلا الله. - انصره نصرا عزيزا. - افتح له فتحا مبينا.	

كانت الجمل الفعلية هي الغالبة على الجمل الاسمية، والجمل الفعلية هي أفعال تدلّ على الحركة والحيوية، وعبرت كذلك على ديمومة الحدث وحركته، فالخطيب في موقف يسعى من خلاله إلى تهييج النفوس وحثّها على الطاعة والامتثال لأوامر الله والابتعاد عن نواهيه، وفي الجانب المقابل نجد الجمل الاسمية بنسب قليلة وهذا راجع إلى طبيعة الموضوع الذي غرضه النصح والإرشاد، فلا بدّ من ورود أفعال بكثرة كالأمر والنهي، والجمل الاسمية في طبيعتها تخلو من الحركة والحيوية والنشاط، فهي تأتي للوصف والسرد[1].

ومن الملاحظ أيضا تسلسل الجمل فقد جاءت متتالية مع بعضها البعض فمثلا في قوله: "ابتدأ الخلق بنعمائه، وتغمّدهم بحسن آلائه"[2]، إظهار تسلسل النعم الإلهية.

ومثال آخر قوله: " بل جعل القرآن إماما للمتّقين، وهدى للمؤمنين، وملجأ للمتنازعين وحكما بين المتخالفين "[3].

وقوله كذلك: " الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونؤمن به ونستهديه"[4].

في هذا المثال قد جمع عدّة أفعال في جملة واحدة تربطها وحدة المعنى والغرض.

إذن: التركيب المستخدم في الخطبة هو تركيب فصيح متين يعتمد على الجمل المركّبة والربط بين الأفكار المختلفة.

---

[1]- زدادرة سوسن: الأبعاد الفنية و الثقافية في خطب الدولة الرستمية ، ص 49

[2]-ينظر: ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص106، سليمان باشا الباروني، الأزهار الرياضية، ص340-341.

[3]-المصدر نفسه، ص107، المصدر نفسه، ص341.

[4]-المصدر نفسه، ص108، المصدر نفسه، ص342.

التحليل البلاغي لبعض التراكيب:

1-تركيب اسنادي:

-" الحمد لله " (الحمد: مبتدأ مرفوع، لله: جار مجرور في محل رفع خبر).

-" ابتدأ الخلق بنعمائه " (ابتدأ: فعل ماض، الخلق: مفعول به، وبنعمائه: جار ومجرور والفاعل هنا هو الله جلّ جلاله وعظم شأنه.

-" تغمدهم جميعا بحسن آلائه " (تغمّد: فعل ماض، هم: مفعول به، جميعا: حال، بحسن آلائه: جار ومجرور، والفاعل أيضا هو الله، فالله هو الذي تغمّدهم جميعا بآلائه ونعمه، لا نستطيع عنه القول ضمير مستتر تقديره الله.

2-تركيب وصفي:

"بنعمائه" (نعم: مضاف، الهاء: مضاف إليه).

"بحسن آلائه" (حسن: مضاف، آلائه: مضاف إليه).

3-تركيب إضافي:

"آياته" (آيات: مضاف، الهاء: مضاف اليه).

"أنبيائه" (أنبياء: مضاف، الهاء: مضاف اليه).

هذا كمثال بسيط وهناك العديد من التراكيب في الخطبة كما أسلفنا الذكر.

د - الأسلوب:

إنّ البلاغة تعنى أكثر ما تعنى بالأسلوب، فهي تفرض أنّ الكاتب لديه ما يودّ أن يقوله أو يكتبه من المعاني والأفكار، أيا كانت قيمتها أو درجتها من السمو،

ثمّ ترسل له خطة الأداء قولا أو كتابة[1]، وعلى هذا الأساس يصبح موضوع البلاغة منحصرا في بابين: الباب الأول: هو الأسلوب، والباب الثاني: هو الفنون الأدبية، والأسلوب في هذا القسم من علم البلاغة يدرس القواعد التي إذا اتبعت كان التعبير بليغا أي واضحا مؤثرا[2]، وقد عرّفه أحمد الشايب فقال: "هو طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير[3].

وانطلاقا من هذا المفهوم نفهم أنّ لكل أديب أو كاتب أو خطيب أسلوبه الخاص في التعبير، أي أنّ الأساليب تختلف من لسان إلى آخر، وأنّ اختلاف الأساليب راجع إلى اختلاف الشخصيات من شخص إلى آخر من حيث أذواقهم ومواهبهم العقلية ودرجة انفعالهم وطبائعهم الخشنة أو الرقيقة، وطريقة تفكيرهم وتصويرهم[4]، ونستطيع أن نرصد اختلاف الأساليب في مجالات كثيرة، فلا يوجد أسلوب واحد في كل شيء، بل أساليب متعددة ذات خصائص متميّزة تجعل لكل أسلوب كيانا مستقلا[5].

إذن: أسلوب الخطابة يقوم على طبيعة هذا الفن الذي يرمي إلى الاقناع والتأثير، والصفة العامة للأسلوب الخطابي هي القوّة ومصدرها الأول انفعال الخطيب وقوّة عقيدته ويقينه بما يقول ثمّ يظهر في عباراته المسجوعة والمزدوجة وكلماته المؤثرة الجزلة لتكون موسيقى قوية[6]، لذا اعتمد الخطيب أحمد بن منصور في هذه الخطبة، الخطاب الوعظي الذي برزت فيه قوّة المعاني والألفاظ وقوّة الحجّة والبرهان لتثبيت العقيدة في نفوس السامعين، وما زاد هذا الأسلوب تأثيرا هو منزلة الخطيب في نفوس سامعيه، فقد كان من الأئمة المعروفين آنذاك، والأسلوب بدوره أنواع تمثل في:

---

[1]-أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، ط8: 1441هـ-1991م، ص 15.

[2]-المرجع نفسه، ص37.

[3]- المرجع نفسه ، ص44.

[4]-المرجع نفسه، ص55.

[5]- محمد كريم الكواز : علم الأسلوب مفاهيم و تطبيقات ، منشورات جامعة السابع من افريل، ط1، 1426هـ ، ص7

[6]-أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص 119.

1- الأسلوب الخبري:

يعدّ أهم الأساليب بل الأنجع في الأسلوب الوعظي لكونه يخدم غرض الخطيب في نقله للأحداث والأخبار والوقائع والحقائق للترهيب والترغيب في نفسية المستمع وقد عرف بأنّه: ما يصحّ أن يقال لقائله أنّه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا[1]، كقولنا: العلم نافع أو قلنا الجهل نافع.

وغرضه في الخطبة الدينية الصدق دائما، فالخطيب يقدّم لسامعيه أخبارا عن السلف الصالح وعن أعمالهم والمأثور عنهم، ويذكر محاسنهم وتقاهم للاقتداء بها ليكون مثالا وقدوة يحتذى بها، ويصف كذلك تعاليم الدّين ويوضح ركائزه ودعائمه فيجعل الحديث واقعيا صحيحا، صادقا لا كذب فيه ويصور حقيقة واقعة أو نهاية لقصة أقوام مثلا وتكون النهاية حقيقية لا تقبل الاضافة أو النقص أو النقاش أو الجدل، وإنّما هدفها العظة وأخذالعبرة، والملاحظ أنّ هذا الأسلوب كان جليا واضحا في العديد من المواضع، بل نستطيع القول أنّ الخطبة الأولى جاءت تحوي الكثير من الأساليب الخبرية منهاك

-" ثمّ احتجّ على من بلغ منهم بآياته وأنذرهم بأنبيائه وأعذر إليهم ببلائه": غرضه التحذير والوعيد بعقاب الله.

-" فقدّرها أحسن تقدير، واخترعها من غير نظير، لم يرفعها بأعمدة تدرك بالمعاينة "، وكذا قوله: " وزيّنها للناظرين وجعلها رجوما للشياطين ": غرضه وصف قدرة الله على الخلق ووصف لقدرة الله على خلق السّماء الخلق العظيم الذي ليس له مثيل.

-" دعا أولياءه المؤمنين إلى إتباع تنزيله وأمرهم عند التنازل في تأويله بالرجوع إلى قول رسوله ": غرضه توضيح الطريق الصحيح لاتباعه عند حلول الشقاق أو النزاع بين الأطراف، حلّه هو العودة إلى كتاب الله القرآن فهو منارة لكل شك ولبس والعودة إلى كلام وأمر ونهي رسول الله باعتباره إمام وحكم.

[1]-علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص139.

-" ليهلك من هلك عن بيّنة ويحي من حيي عن بيّنة ": غرضه التذكير بما بين المراتب من تفاوت، فكل واحد عرف الطريق وعرف السبيل واختار كل طريقه برضاه وعلمه إمّا الهلاك أو الحياة.

-" أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ": غرضه الإقرار بوحدانية الله.

-" شهادة معترف له بالربوبية والتوحيد، مقرا له بالعظمة والتمجيد، خائفا من انجاز ما قدم إليه من الوعيد ": غرضه اظهار الضعف والخشوع والخوف من عقاب الله ووعيده مع الإقرار بالربوبية لله وحده.

-" اصطفاه لنفسه وليا، وارتضاه لخلقه نبيا، فأوجده على حفظ ما ضمنه قويا وبأداء ما استودعه مليا ": غرضه ذكر ووصف لصفات وأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، التي تميز بها عن سائر المخلوقات.

-" والنّاس فريقان، عالم متكبر، وجاهل مستظهر ": يخبرنا عن أصناف النّاس وصفات كل صنف.

-" الحمد لله نستعينه ونستغفره ": تدلّ على الثناء والشكر لله.

-" نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ": تؤكد التوحيد كما أسلفنا الذكر.

-" من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له ": استخدم الأخبار للتأكيد على الهداية.

-"اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان": التأكيد على طلب الغفران للمؤمنين.

2- الأسلوب الإنشائي:

أحد الأساليب التي يلجأ إليها الأدباء في إبداعاتهم لغرض التنويع في التعبير وهو" كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته"[1]،ويضم أربعة أنواع:أمر، نهي، نداء واستفهام.

[1]-أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص4-5.

- **الأمر:** هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء[1]، وقد تعددت صيغ الأمر في الخطبة الثانية، وكان الغرض منها واحدا ألا وهو الدعاء، لأنّ الأمر كان من البشر إلى الله والله هو الآمر وليس سواه، ومن أمثلة ذلك:

-" صل على محمد وعلى آل محمد "، " بارك على محمد وعلى آل محمد "، " صل على العصبتين المباركتين ": المقصود في هذه الأمثلة دعاء الله بالصلاة على رسول الله وكذا الصلاة على المهاجرين والأنصار لأنّهم كانوا من نصروا وأيّدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

-" أصلح الأمير يوسف، أصلحه وأصلح على يديه "، " وفقه للخير وأعنه عليه "، " افتح له من عندك أعوانا "، " أعزز به الإسلام وأهله "، " أذلك به الكفر وأهله "، " افتح له فتحا مبينا "، " هب له عندك سلطانا نصيرا ": كل هذه الأمثلة المقصود منها الدعاء أي دعاء الله للإمام بالصلاح والفتح والعزة على الأعداء والتوفيق والسداد لخدمة دين الله، والدعاء كذلك على المشركين بالذلّة والهوان.

-" اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان "، " لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ": المقصود هنا الدعاء بالمغفرة لكل المسلمين والمؤمنين عامة.

- **النهي:** هو واحد من الأساليب الإنشائية الطلبية التي تعني: طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء ويكون مصحوبا بالأداة "لا" وتسمى "لا الناهية" وله صيغة واحدة وهي المضارع [2]، تجلّت أساليب النهي في الخطبة في عدّة أمثلة منها:

-" لا يشتمل عليه زمان "، " لا يحيط به مكان ": تأكيد على قدرة الله في خلق الكون.

-" ولا أذن لهم في مسامحة أهوائهم ": لم يسمح لهم ولم يأذن لهم باتباع أهوائهم عمّا أمر به الله.

---

[1]- المرجع السابق، ص55.
[2]- المرجع نفسه ، ص60.

- " لا يرعوي لمن عذله "، " ولا يلوى على من خذله "، " لا يطيع إلا من أرسله "، " لا تأخذه في الله لومة لائم " : تذكير باتخاذ الرسول كقدوة حسنة لأنّه مثال يحتذى به.

-" ليظهره على الدين كلّه ": المقصود به إظهار تحذير ضمني من خلال التذكير بعاقبة من خالف.

-" لا نبغي عنه بدلا ولا عنه حولا ": المقصود إتباع نهج الله ونهج نبيّه ونهج كتابه.

-" لا نشتري به ثمنا" : إنكار وعدم إتباع المخالفين.

-" من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ": تذكير باتباع نهج الله، ومن يخالف ذلك عاقبته وخيمة.

-" لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ": الغرض هو الدعاء، دعاء بطهارة القلوب وصفائها.

- **النداء:** هو طلب المتكلم اقبال المخاطب عليه، ويكون بأدوات النداء[1] يا، أيّها...،

أمّا غرضه فهو لفت الانتباه من أجل تعظيم أمر، وذلك في قوله تعالى: " يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم "[2].

أي تعظيم طاعة الله وطاعة رسوله ثمّ يليها تعظيم وطاعة ولي الأمر بما يرضي الله، لأنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وجاءت أداة النداء مصحوبة بأمر من الله سبحانه وتعالى للنّاس وحثّهم على الطاعة لله أولا ولرسوله ثانيا ثمّ لخليفة الله في الأرض، فكان جل النداء في الخطب مقترنا بآيات الذكر الحكيم.

[1]- المرجع السابق، ص72.
[2]- القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 59.

• **الاستفهام:** هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل[1]، هذا الأسلوب ليس موجودا في خطبة أحمد بن منصور، ممّا دلّ على أنّ هذا الأسلوب لم يستعمل كثيرا في خطب الدولة الرستمية لأنّها لم تكن بحاجة إلى استفسار واستفهام، وهذا راجع إلى معرفتهم وثقافتهم الكبيرة بتعاليم وأصول الدين الإسلامي، فقد كانت لهم ثقافة دينية راسخة في العقل قبل القلب ساسة وأئمة ورعية.

خلاصة القول من هذا:

الأسلوب هو المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام[2]، ولا بدّ له أن يتنوع فيكون خبرا وأمرا ونهيا واستفهاما وتفجعا أن تطلب الأمر حتى لا يكون رتيبا وليمثل الانفعالات اللازمة للخطابة والتي تمتلئ بها نفس الخطيب[3]، هذا هو الأسلوب الخطابي الذي تبرز فيه قوّة المعاني والألفاظ وقوّة الحجّة والبرهان وقوّة العقل الخطيب، وهنا يتحدث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم واستنهاض هممهم، ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه شأن كبير في تأثيره ووصوله إلى قرارة في نفوس سامعيه وقوّة عارضته وسطوع حجته ونبرات صوته[4]،جاءت خطبة أحمد بن منصور تحوي أساليب خبرية وأخرى إنشائية، أي حدث تزاوج بين الأسلوبين، أما الإنشاء كان أغلبه يتمحور حول الأمر والنهي، وكل هذا جاء خادما لغرض الخطبة، هذه هي ميزة الأسلوب الخطابي كأنّه كساء الكلام به تنال الخطبة رونقها وبهاءها كالثوب يزيّن لابسه ويكسبه حسنا وجمالا.

هـ - التصوير (البيان):

يعتبر مقدرة لغوية وبراعة تركيبية يستعمله الأديب وكذا الخطيب للدلالة عن المعنى البعيد للألفاظ[5]، وهو أنواع: التشبيه، الاستعارة بنوعيها مكنية وتصريحية، الكناية.

---

[1]- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص62.
[2]- المرجع نفسه ، ص32.
[3]-أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص119.
[4]- المرجع السابق ، ص33.
[5]- زدادرة سوسن: الأبعاد الفنية و الثقافية في خطب الدولة الرستمية ، ص 55.

- **التشبيه:** أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى وهو في اللغة التمثيل، وعند علماء البيان مشاركة أمر لأمر في المعنى بأدوات معلومة[1]، والتشبيه موقع حسن في البلاغة وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، يزيد المعاني رفعة ووضوحا ويكسبها توكيدا وفضلا ويكسوها شرفا ونبلا.

- **الاستعارة:** هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينه، صارفة عن إرادة المعنى الأصلي والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصرا لكنّها أبلغ منه[2].

- **الكناية:** لغة ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره وهي مصدر كنيت أو كنوت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به[3].

إنّ حظ الصور البيانية في خطبة أحمد بن منصور منعدمة، لأنّ الخطيب كان في موقف الداعي، الناصح، المرشد، المذكر بتقوى الله، المخاطب العقل بالدرجة الأولى، لا هو في موضع الراوي لحادثة أو واقعة أو السارد لقصة مثلا كي يحتاج إلى تصوير وإلى خيال واستعارة لصنع الإبداع، وإنّما هدفه إيصال فكرة وغاية لها هدفها متجليا في ثنايا الخطبة كما أسلفنا الذكر.

و- البديع:

هو عبارة عن تزيين للكلام و تنميقه و زخرفته بأنواع مختلفة من الفنون الإبداعية الجمالية مما تضفي عليه رونقا و بريقا خاصا ، يدهش العقول ويصل بالكلام إلى القلوب دون مشقة أو تعب.

وأهم و أبرز المحسنات البديعية التي برزت في نص الخطبة:

- **المطابقة:** أو ما يعرف بالطباق وهو: " الجمع بين الشيء وضده في الكلام " وهو نوعان:

طباق الإيجاب: وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا.

---

[1]- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص169.
[2]- المرجع نفسه، ص198.
[3]- المرجع نفسه، ص221-222.

طباق السلب: وهو ما اختلف فيه الضّدان إيجابا وسلبا[1]

- **الملاحظ** : في هذه الخطبة أنّ التّضاد تجلى بكثرة وقد وظف الخطيب العديد من الباقات تمثلت في:

السماء، الأرض ، طوعا، كرها ، عالم، جاهل ، التنازع، الرجوع ، الكفر، الإيمان، المؤمنون ، المشركون ، إتباعا ، خلافا ...

- كل هذه الأضداد تدخل في دائرة طباق الإيجاب وقد كان للأضداد دور بارز وهام في الخطبة أضفت على الخطبة وضوحا للمعاني وتفسيرا لها كما أعطت صورة بديعية جميلة.

- **المقابلة:** ما تجاوز الطباق سمي مقابلة وهي: الإتيان بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب[2]، ومن أمثلة ذلك من نص الخطبة :

-" ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيي من حيي عن بيّنة ".

-" متوقفا عن ورود المشكلات ومستمرا عند انجلاء الشبهات ".

-" من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له ".

-" رضينا بحلاله حلالا وبحرامه حراما ".

-" اللهم أعزز به الإسلام وأهله، وأذلل به الكفر وأهلها ".

جاءت المقابلة لتأكيد وتكملة المعنى وإثباته وتحسين الكلام وجودته وإعطائه جمالية خاصة.

- **الجناس:** يسمى بالتجنيس أو المجانسة أيضا وهو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى وهو نوعان:

- جناس تام : وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي: نوع الحروف، شكلها، عددها وترتيبها.

---

[1]- ينظر: علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة – البيان – المعاني – البديع، ، ص281 – أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة، ص303.

[2]- المرجع السابق ، ص285 – المرجع السابق، ص304.

- جناس غير تام (ناقص): وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة[1].

وتظهر أمثلة ذلك في نص الخطبة في:

-" لم يرفعها بعمد تدرك بالمعاينة، ولم يستعن عليها بأحد استكبارا من الشراكة والمعاونة ": فالجناس هنا هو جناس ناقص وقد حدث بين كلمة "المعاينة" وكلمة "المعاونة"، وهما كلمتان اتفقتا لفظا واختلفتا في المعنى، فالمقصود في الأولى : لا ترى بالعين المجرّدة، والمقصود في الكلمة الثانية: التعاون والمساعدة، فقد اختلفتا في نوع الحروف.

-" أرسله على حين فترة من الرّسل ودرس من السبل ":فالجناس في هذا المثال جناس ناقص أيضا واتفقت الكلمة لفظا واختلفا في المعنى ونوع الحروف.

تجلت بلاغة الجناس وظهرت في إيضاحه المعنى وإعطائه جمالا وإبداعا مميّزا للكلام، و به استطاع الخطيب تجنب التكرار اللفظي الذي يؤدي إلى الملل والسأم إلا في بعض الحالات.

فنلاحظ أنّه في الخطبة الثانية تكررت جملة عدّة مرات وهي " لاحكم إلا لله "، والتكرار هو ظاهرة أسلوبية تقتضي إعادة ايراد اللفظ في جملة أو تكرار الجملة في حدّ ذاتها، ودلالة تكرار الجملة أو الغرض منه هو "التوكيد" الذي يتم بتكرار اللفظ، وذلك من أجل تثبيت وتأكيد المعنى المراد والغاية[2]، وهو كذا يضفي على الكلام نوعا خاصامن الجمال الأدبي ومثالا من أمثلته ومثال عن ذلك الآية الكريمة: "فبأيّ آلاء ربكما تكذبان"[3] ، المكررة في السورة عدة مرات

[1]-أنظر: علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة – البيان – المعاني – البديع، المرجع نفسه، ص265 – أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة، المرجع نفسه، ص325.
[2]- أمينة عديس : مجلة الذاكرة ، ص 208
[3]-القرآن الكريم: سورة الرحمن.

- **الإيقاع والموسيقى:**

النثر شبيه الشعر ، فله إيقاع و موسيقى خاصة به ، تجعله مميزا عن غيره ، تمثلت موسيقاه فيما يعرف بـ " السجع"، وهو اتفاق الفاصلتين أو الفواصل في الحرف الأخير أو في أكثر من حرف، وقد يكون هذا الاتفاق في الحروف والأوزان أو فيها معا[1]، وأفضله ما تساوت فقره[2]، نلمس هذه الموسيقى من بداية الخطبة إلى نهايتها، نلاحظ ذلك في:

-" نعمائه، آلائه، صبائه، غذائه، استغنائه، أنبيائه، بلائه، أسمائه " .

-" تقدير، نظير "، " اخترعها، يرفعها "، " النّاظرين، الشّياطين، الخالقين، المتكلّفين، المقلّدين، المتّقين، المؤمنين، المتنازعين، المتخالفين ".

-وكذلك : " تنزيله، تأويله، رسوله "، " آرائهم، أهوائهم "، "مبتدعة، مخترعة"، " عبادته، طاعته "، " التوحيد، التمجيد، الوعيد ".

-"وليا، نبيا، قويا، مليا، حفيا"، "عذله، خذله، أرسله"، "الآيات، المعجزات، الديانات".

الملاحظ أنّ الخطيب وظّف السجع بكثرة في خطبته فطبع عليها جمالية فصار بها العمود الفقري الذي ارتكزت عليه بنية كل الخطبة، وقد صنع هذا السجع ايقاعا موسيقيا تطرب له الآذان فيستقر الكلام في القلب ويرسخ في العقل، وبذلك يتمكن الخطيب من جذب المستمعين واستمالتهم والتأثير فيهم.

- **الاقتباس:** هو تضمين النثر أو الشعر شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنّه منهما، ويجوز أن يغيّر في المقتبس قليلا[3].

الملاحظ انّ الخطبة ضمنت عبارات وكلمات هي عبارة عن اقتباسات من القرآن الكريم ونسج على منواله كقوله: "ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين" فهي مقتبسة

[1]- أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية ، ص 330.
[2]- علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة – البيان – المعاني – البديع، ص273.
[3]- المرجع نفسه، ص270.

من الآية الكريمة في قوله تعالى: " ثمّ استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين"[1].

- وكذلك قوله "وزيّنها للناظرين وجعل فيها رجوما للشياطين"، اقتبسها من قوله تعالى: "ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين"[2].

- وكذلك قوله: "حتى استقام من أراد الله توفيقه"، مقتبسة من قوله تعالى: "إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله"[3].

- وكذا في قوله: "أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون" مقتبسة من قوله تعالى: "هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون"[4]،

(وردت هذه الآية في موضعين من القرآن الكريم، الأولى في سورة التوبة الآية 33، والثاني في سورة الصف الآية 9[5]).

- بالإضافة إلى ترديد الخطيب لعبارة " لا حكم إلا لله " وهي مقتبسة من ثلاث آيات قرآنية وهي: قوله تعالى "إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون"[6]، وقوله تعالى "إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه"[7]، وقوله تعالى "إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين"[8].

- ومن مظاهر الاقتباس أيضا قوله: "من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون "، مقتبسة من ثلاث آيات قرآنية أيضا

[1]-القرآن الكريم: سورة فصلت، الآية 11.
[2]-القرآن الكريم: سورة الملك، الآية 5.
[3]-القرآن الكريم: سورة هود الآية 88.
[4]-القرآن الكريم: سورة التوبة، الآية 33.
[5]-القرآن الكريم: سورة الصف، الآية 9.
[6]-القرآن الكريم: سورة يوسف، الآية67.
[7]-القرآن الكريم: سورة يوسف، الآية 40.
[8]-القرآن الكريم: سورة الانعام، الآية57.

وهي: قال الله تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"[1].

وقوله تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون"[2].

وكذا قوله جلّ علاه: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون"[3].

- واقتباس آخر وذلك في قوله: "ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له"، اقتبسها من قوله تعالى: "من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون"[4].

- ومن مظاهر الاقتباس أيضا قوله: "وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله اصطفاه لنفسه وليا وارتضاه لخلقه نبيا، فأوجده على حفظ ما ضمنه قويا، وبأداء ما استودعه مليا وبالدعاء إلى ربه حفيا"، نسجها على طريقة سورة مريم في قوله تعالى: "ذكر رحمت ربّك عبده زكريا إذ نادى ربّه نداء خفيا قال ربي إنّي وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك ربي شقيا"[5].

-**<u>الملاحظ أنّ</u>** خطبة أحمد بن منصور جاءت مليئة بالاقتباس، وقد جاء الاقتباس بصورة واضحة وملفتة، وهذا إنّما هو دليل واثبات جازم وحجّة دامغة على الثقافة الدينية التي تشبّع بها الخطيب.

- **الاستشهاد بالقرآن الكريم:**

ومن مظاهر الأثر الاسلامي على هذه الخطبة أيضا الاستشهاد بالقرآن الكريم، فقد حوت بعض الآيات القرآنية منها:

قال تعالى: " يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا "[6].

وكذلك قوله:" قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد "[7].

---

[1]-القرآن الكريم: سورة المائدة، الآية46.
[2]-القرآن الكريم: سورة المائدة، الآية47.
[3]-القرآن الكريم: سورة المائدة، الآية49.
[4]-القرآن الكريم: سورة الأعراف، الآية178.
[5]-القرآن الكريم: سورة مريم، الآية من 1 إلى 4.
[6]-القرآن الكريم: سورة النساء، الآية59.
[7]-. القرآن الكريم: سورة الإخلاص، الآية من 1إلى 5

خلاصة:

إنّ آفاق الجمال أوسع من أن تحدد أو تحصر بأطرف مقاييس، ولكن يمكن اكتشاف بعض عناصره وكلياته العامة وبعضا من ملامحه[1]، ومن أبدع صور الجمال التنويع فيه والتنقل من لون إلى آخر، أمّا الثبات والتكرار للصورة الواحدة في كل الأوقات فهو ممل للنفوس مهما كانت هذه الصورة جميلة[2]، ومن أبدع الكلام وأحلاه ما كان متنوعا، كثير الألوان، غير مقتصر على نمط واحد، ومع هذا ليس في كل مائدة كلامية، وأنّه قد تجمّل في بعض الأحيان أو المناسبات مائدة كلامية من لون واحد من الكلام فقط[3].

إنّ الظواهر اللغوية التي شاع استخدامها في أدب العصر الرستمي وخاصة في خطبهم توظيف المحسنات البديعية، شأنهم شأن سابقيهم وغيرهم من الخطباء، وإنّ ما جاء في خطبة أحمد بن منصور جاء عفو الخاطر دون تعمد أو تكلف أو صنيعة، وذلك كله راجع إلى تكوينه وشخصيته التي صقلتها تربيته الدينية وكونه أكثر النّاس علما بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

[1]-عبد الرحمن حسن حبنكة: البلاغة العربية،أسسها وعلومها وفنونها، ص 11.
[2]-المرجع نفسه، ص34.
[3]-المرجع نفسه، ص47.

خاتـــــمة

خاتمة

ها هو بحثي شارف محطته الأخيرة ، بعد رحلة جعلتني أغوص في أعماق فن الخطابة في النثر الجزائري ، و النتائج التي رسا عليها بحثي تمثلت في النقاط التالية.

- إن دراسة الأدب الجزائري القديم تجعلنا نقف عند حقيقة غائبة عن أذهاننا ، حقيقة ماضينا المشرق ، حقيقة نفتخر بها أبا عن جد ، حقيقة موروثنا الأدبي المغمور الذي لو تكلم لقال العجب، لكني ارتأيت أن أتكلم بدلا عنه اليوم و سأقول :
- فن الخطابة فن قديم ، قدم هذا التاريخ ، فن أصيل يرمي إلى التأثير في السامعين و استمالة قلوبهم قبل عقولهم لإيصال هدف جليل له غاية مقصودة.
- عرفت الجزائر الخطابة منذ القدم و كان لها مكانة عظيمة في الأدب بصفة عامة و النثر الجزائري بصفة خاصة فقد مثلت حضارة أمة سابقت الركب وواصلت المسير حتى سبقت ووصلت إلى أعلى المراتب.
- كانت الدولة الرستمية في المغرب الأوسط كالقيروان في إفريقيا أو قرطبة في الأندلس أي منارة و منبع للحضارة العربية الاسلامية و هذا يزيدنا فخرا ما بعده فخر.
- كان الرستميون ساسة و أئمة و رعية أهل علم و فصاحة و بلاغة و بيان.
- كانت ولادة الأدب الجزائري و بوادر سموه و ارتقائه في ظل الدولة الرستمية.
- تعد فنون النثر الجزائري ارثا أدبيا زاخرا بشتى الأشكال الأدبية .
- التاريخ أكبر شاهد على أن الجزائر في فترة الرستميين كانت زاخرة بكتاب جادت أقلامهم في شتى المجالات في العلم و الأدب و الخطب وخاصة الخطب الدينية.
- تميزت خطب الرستميين و من بينهم أحمد بن منصور بوجود اللمسة الدينية الطاغية على خطبهم و هذا دليل و إثبات على مدى مواظبتهم على تلاوة القران و حفظه و هذا ظاهر و جلي من كثرة الاستشهادات بالقران الكريم ، وكذا المقتبس منه و المنسوج على منواله ، ذلك أنهم كانوا يجدون فيه تزكية و حلاوة .

- جاءت لغة خطباء بني رستم و بالأخص منهم الخطيب أحمد بن منصور لغة عربية فصيحة ، بليغة اتسمت بالبيان و السحر و ذلك كما قلنا أنفا لتأثر أئمتها بالقران الكريم و هذا ينطبق على خطبهم كما قال الرسول صلى عليه و سلم **"إن من البيان لسحرا"**.

- الخطابة ليست مجرد أداة للتعبير ، بل هي فن متكامل يتطلب مهارات خاصة و الماما عميقا بالبلاغة و الأساليب اللغوية.

- مثلت خطبة أحمد بن منصور قمة النضج البلاغي في تلك الفترة من خلال استخدامه المتميز للمحسنات البديعية من طباق و سجع و جناس.

- إن بلاغة الخطابة في النثر الجزائري القديم كانت نتاجا لتفاعل معقد بين العوامل الثقافية و الاجتماعية و السياسية و الدينية.

- تميزت النصوص الخطابية في عصر الرستميين بتقنيات بلاغية متقدمة مما يعكس مستوى عال من الوعي البلاغي و الأدبي لدى الخطباء في ذلك العصر.

- إن البلاغة علم من علوم اللغة بها يقاس الأدب و يستبين حسنه من رديئه، و جميله من قبيحه، و هي كما قال الأستاذ أمين الخولي **" روح الأدب"**.

و في الختام لا يسعني إلا أن أفتخر بكوني فردا من هذه الأمة الإسلامية، و يكفيني فخرا أن لي وطنا اسمه **الجزائر**، دون أن أنسى حبيبتنا **فلسطين** فنقول : فلسطين دائما في القلب و غزة العزة هي النبض .

المصادر و المراجع

قائمة المراجع و المصادر

القرآن الكريم : برواية ورش عن نافع

- **أولا: القواميس و المعاجم :**

1.ابن منظور: لسان العرب ، دار صادر، بيروت المجلد 1 ط1 ،17 رجب 1300 هـ

2.جبور عبد النور: المعجم الأدبي،دار العلم للملايين،بيروت،ط1،يناير1984م

3.معجم اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، ط1، 1425هـ-2004م.

4. محمد بن موسى بابا عمي و مصطفى بن صالح باجو و إبراهيم بكير بحاز معجم أعلام الإباضية، من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر، ج2، ط1، 1420هـ/ 1999م.

- **ثانيا : المصادر**

1. ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، القرن الثالث هجري، تحقيق محمد ناصر و إبراهيم بحاز، دار المغرب الإسلامي، د.ب، د.ط، 4 رجب 1405هـ /26 مارس 1985 م.

2. ابن خلدون : العبر ، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، دار الفكر، بيروت، لبنان ، ج2 ، د.ط، 1421 هـ/ 2000 م.

3. ابن رشد : تلخيص الخطابة، تحقيق محمد سليم سالم، الكتاب الرابع ، القاهرة، د.ط ، 1387هـ/1967م.

4. أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج3، ط7 ، 1418هـ / 1998م

5. أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري: الصناعتين(الكاتبة و الشعر)، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2،د.ت

6. أحمد بن سعيد بن عبد الواحد **الشماخي**: كتاب السير، تحقيق: أحمد بن سعود **الشيابي**، ج1، وزارة التراث القومي والثقافة - عمان، **ج1**، ط2 ، 1412هـ - 1992م.

7. أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، العصر الجاهلي، عصر صدر الإسلام، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1352هـ/1933 م.

8. سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، مراجعة محمد علي الصليبي، دار الحكمة، لندن، ط1، 2005.

9. علي محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1985م.

10. مبارك بن محمد الهلالي الميلي : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ج1، د.ط ، د.ت.

- **ثالثا : المراجع**

1. إبراهيم بدوي : فن الخطابة، دار القول الثابت، ط3، 1429 هـ/2008 م

2. ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، جمعية التراب، القرارة، ط1، 1406هـ/1985م- ط1414،2هـ/1993 م.

3. أبو الربيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الاباضية، أخذ الكتاب من صفحات كوكب المعرفة (المذهب الاباضي)، د.ط، د.ت:طرابلس.

4. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار المغرب الإسلامي ج2، 1500-1800، ط1، 1998م،

5. إحسان النص، خليل هنداوي ، عمر يحي : الرائد في الأدب العربي، الطبعة الهاشمية، بدمشق ، ط1 ، 1367هـ /1948 م.

6. إحسان النص : الخطابة السياسية في عصر بني أمية، دار الفكر، دمشق، د.ط، 01-03-1965م.

7. إسماعيل علي محمد : فن الخطابة و مهارات الخطيب، دار الكلمة ، القاهرة ، ط5، 1437ه/2016 م.

8. أحمد حسن الزيّات: تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية العليا، د.ط، د.ت، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ط، د.ت.

9. أحمد الشايب: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مكتبة، النهضة المصرية، ط8، 1411هـ/1991م.

10. أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، نهضة مصر للطباعة و النشر، د.ط، د.ت

11. أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة- البيان-البديع-المعاني،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3 ، 1414 هـ/1993 م.

12. أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1429هـ/2008م.

13. حسين بن محمد أل شامر: فن الخطابة، المملكة العربية السعودية ، الرياض، د.ط، 1440ه/2019 م

14. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط22، 20 ديسمبر 1960.

15. عبد الحليم عويس : دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، القاهرة، ط2: 1411هـ-1991م.

16. عبد الجليل عبده شلبي : الخطابة و اعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط1 ، 1401 هـ/1981 م

17. عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام،ج1، المطبعة العربية، الجزائر، ط1: 1372هـ-1953م،

18. عبد الرحمن حسن حنبكة: البلاغة العربية ، أسسها و علومها و فنونها ، دار القلم ، دمشق، الدار الشامية ، بيروت ، ط1، 1416 هـ/ 1996م

19. عبد العليم بوفاتح : فنون البلاغة العربية ، مطبعة ابن سالم ، الأغواط ، الجزائر ، ط1، 1430 هـ /2009م

20. عثمان سعدي: البربر الأمازيغ، عرب عاربة وعروبة الشمال الافريقي عبر التاريخ، دار الأمة، ط:2008م

21. علي محفوظ: فن الخطابة و اعداد الخطيب، دار الاعتصام ، د.ط، د.ت.

22. علي الجارم ، مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، دار المعارف لندن، د.ط، د.ت

23. علي يحي معمر: الاباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري، ط3: 1429هـ-2008م.

24. عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر: دار ريحانة للنشر، القبة بالجزائر، ط1: 2002م

25. محمد أبو زهرة : الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ط1، 1353 هـ/1934 م

26. محمد رمضان شاوش: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، المطبعة العلوية ، مستغانم ، ط1، 1385 هـ /1966م.

27. محمد زينهم محمد غرب: قيام وتطور الدولة الرستمية، دار العالم العربي بالقاهرة، ط1، 2013 م.

28. محمد علي دبوز: تاريخ المغرب العربي، ج1، مؤسسة توالت الثقافية، د.ط، 2010م،

29. محمد علي دبوز: تاريخ المغرب العربي، ج2، مؤسسة توالت الثقافية، د.ط، 2010م،

30. محمود علي السمان: دراسات في اللغة والأدب والبلاغة، جامعة الأزهر دمنهور ، د.ط ، د.ت.

31. محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3: 1408هـ-1987م.

32. محمد كريم الكواز : علم الأسلوب – مفاهيم و تطبيقات ، منشورات جامعة السابع من أفريل ، ط1، 1426 هـ.

33. محمد الطمّار: تاريخ الأدب الجزائري، الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، د.ط ، د.ت.

34. محمد العمري: بلاغة الخطاب الاقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، منتديات سور الأزبكية، إفريقيا الشرق – المغرب، ط2.

رابعا : المجلات و الدوريات:

1.أمينة عديس: الخصائص الفنية للخطابة في العهد الرستمي، مجلة الذاكرة، العدد:5، جامعة تلمسان.

2. مسعود بن ساري : مجلة تقاليد- إشكالية الهوية في الأدب الجزائري القديم، المركز الجامعي بميلة ، الجزائر ، العدد الرابع، جوان 2013 م.

3. موسى سترة: مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الفنون النثرية في الأدب الجزائري القديم، مجلد09، عدد05، تمنراست - الجزائر، 2020م.

المذكرات:

1. زدادرة سوسن: الأبعاد الفنّية والثقافية في خطب الدولة الرستمية، دراسة تحليلية وصفية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب جزائري، جامعة قالمة 8 ماي 1945 ، قالمة ، 2018-2019م

خامسا : المراجع الأجنبية :

1.أرسطو طاليس: الخطابة، ترجمة إبراهيم سلامة، مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، ط2، 1973 هـ/1953 م.

2. ديل كارنيجي : فن الخطابة ، الأهلية للكتاب ، المجموعة الطباية ، بيروت، الطبعة العربية الأولى ، 2001

الفـــــهرس

الفهرس

مقدمة ..... أ
مدخل 04
الخطابة 5
علم الخطابة وفن الخطابة 8
الخطابة نشأتها وعوامل رقيّها 9
نشأتها 9
الخطابة عند اليونان 10
الخطابة عند الرومان 11
الخطابة في العصر الجاهلي 11
الخطابة في صدر الإسلام: 12
عوامل رقيّها 15
أنواع الخطابة 17
خصائص الخطابة 18
موضوعات الخطابة 19
الفصل الأول : الخطابة في النثر الجزائري القديم
تمهيد 22
المبحث الأول: ماهية الجزائر والدولة الرستمية 24
حال المغرب العربي 24
أصل السكان 25
نشأة الدولة الرستمية 28
المبحث الثاني: ماهية الأدب في عهد الدولة الرستمية 35
الحياة الثقافية والفكرية والأدبية 35
الأدب الجزائري القديم 38
أشهر خطب الرستمين 40
أشهر الخطباء. 41
الفصل الثاني : بلاغة الخطابة في النثر الجزائري القديم
تمهيد 45
المبحث الأول: البعد الخارجي للخطبة (البناء الخارجي) 47
الخطبة الأولى: خطبة الجمعة 49
الخطبة الثانية: خطبة التحكيم 52
المبحث الثاني: البعد الداخلي للخطبة (البناء الداخلي) 55
الألفاظ 56
التراكيب 57
الأسلوب 60
التصوير (البيان) 66
البديع 67
الجناس 68

الإيقاع والموسيقى 70
الاقتباس 70
الاستشهاد بالقرآن الكريم 70
خاتمة 74
قائمة المصادر و المراجع 78
الفهرس 84
ملخص 87

ملـــــخص

ملخـــــص

إن دراسة بلاغة الخطابة في النثر الجزائري القديم، تهدف إلى الكشف عن الأساليب البلاغية المستخدمة في الخطب وكيفية تأثيرها على المستمعين. كما تسعى إلى فهم الأغراض البلاغية المختلفة، مثل التأثير والإقناع، والتي تظهر من خلال استخدام الأساليب البيانية والبديعية. و تسلط الضوء على الأهمية التاريخية والدينية والسياسية لخطب ذلك العصر في سياقها الزمني، وتوضح كيفية مساهمتها في تشكيل الهوية الأدبية والثقافية للجزائر . و تتضمن الدراسة تحليلاً مفصلاً للهيكل البلاغي للخطبة، مع التركيز على العناصر الفنية التي تجعلها نموذجاً مهماً للبلاغة في النثر الجزائري القديم.مع تحليل لخطبة أحمد بن منصور و اعتبارها كأنموذج بارز.

الكلمات المفتاحية : البلاغة – الخطابة - النثر الجزائري القديم - بلاغة الخطابة - خطبة أحمد بن منصور

ABSTRACT

The study of rhetoric in ancient Algerian prose aims to reveal the rhetorical methods used in speeches and how they affect listeners. It also seeks to understand various rhetorical purposes, such as influence and persuasion, which appear through the use of graphic and creative methods.

It highlights the historical, religious and political importance of the sermons of that era in their chronological context, and explains how they contributed to shaping the literary and cultural identity of Algeria.The study includes a detailed analysis of the rhetorical structure of the sermon, with a focus on the artistic elements that make it an important model of rhetoric in ancient Algerian prose. With an analysis of Ahmed bin Mansour's sermon and considering it as a prominent example.

KEY WORDS :

Rhetoric - rhetoric - ancient Algerian prose - eloquence of speech - Ahmed bin Mansour's sermon